قاعدةٌ حسنةٌ في الباقياتِ الصالحاتِ

تأليف شيخ الإسلام

أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيَّ رحمه الله

تعليق أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللقاء الأول

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

نبدأ مستعينين بالله، في قراءة رسالة لابن تيمية رحمه الله بعنوان: **"قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات"**[1]، **ويقصد بذلك:** مناقشة معنى من المعاني المتّصلة بالكلمات الأربعة **"سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر".**

يقول: **(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم، وبه نستعين، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين. فصلٌ في الباقياتِ الصالحاتِ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر.**

فقد ثبت في (الصحيح)[2] عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه قال: ((أَفْضَلُ الْكَلَامِ بَعْد الْقُرْآنِ أَرْبَعٌ، وَهُنَّ مِنَ الْقُرْآنِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ)).

يقول: **(وقد ذكرنا ما يتعلّق بمعانيها في مواضع[3].) ويقصد:** أنّه ناقش معاني هذه الكلمات في مواضع أخرى من رسائله؛ فنرى ما الزّيادة الّتي يريد أن يبيّنها في هذه الرّسالة.

قال: **(والمقصود هنا أن نقول: التَّسْبيح مَقْرُون بالتَّحْمِيد، والتَّهليل مَقْرُون بالتكبير:)** هنا أربعة كلمات: **"سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر"**؛ فالتّسبيح مقرون بالتّحميد: **"سبحان الله، والحمد لله"**، والتّهليل مقرون بالتّكبير: **" وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ"**.

يقول: **(فإنَّ الله تعالى يذكر في غير موضع التَّسْبيح بحمده)** فهذه الجملة هي جملة اقتران: **"سبحان الله" بـ"الحمد لله" (التَّسْبيح بحمده)** ونحن نقول: (سبحان الله وبحمده) في أذكار الصّباح، وأذكار المساء.

---

[1] ملاحظة: الرّسالة موجودة في قناة التليجرام، يمكن متابعة الدّرس عن طريقه أو تحميله من هنا.

[2] أخرجه مسلم برقم: (٢١٣٧)

[3] مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٣١)

سيأتي بالشّواهد الّتي فيها جمع بين: **التّسبيح، والتّحميد**:

(**كقول الملائكة:** ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾[٤]، **وقوله:** ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[٥]، **وقوله:** ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[٦]، **وقوله:** ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[٧].) ففي هذه الأربعة مواطن هذه الّتي في: سورة البقرة، وغافر، وطه، والطّور؛ اقترن **التّسبيح بالحمد**.

(**ولا ريب أنَّ الصَّلاة الشَّرعية تتضمن ما أمر**) الله (**به من التَّسْبيح بحمده، كما قد بَيَّن النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم ذلك في مثل حديث جرير المتَّفق عليه**[٨]: أنَّه نَظَرَ إلى القمر فقال: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا))، ثمَّ قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[٩].) ماذا فهم ابن تيمية؟

أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في هذا الحديث العظيم، الّذي فيه بُشرى للمؤمنين: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ))، وهذا بعد عظيم الشّوق الّذي يحصل للمؤمنين لهم في الدّنيا؛ فهم في الدّنيا يعرفونه بآثار أفعاله، ويعرفونه بآثار أسمائه وصفاته الّتي ظهرت لهم، فهو يجبرهم من كلّ كسر، ويستر عليهم العيب، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، ويشتكون فيسمعهم، ويطلبون فيعطيهم، فتقع في قلوبهم محبّته، ثمّ تنضج آلامهم وآمالهم فتعلوا على الدّنيا، ويبقى شوقهم لربّهم يحدوهم في السّير في الأيّام واللّيالي، إلى أن تُصبح رُؤية الله غاية المُنا عند الإنسان، فلمّا يسمع مثل هذا الحديث يقع في قلبه الشّوق إلى ربّ العالمين! ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ... لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ))، ما الوسيلة لهذه الرّؤية؟ كأنّه يُقال: اعبد الله بالصّلاة، وقف بين يديه، اعبده كأنّك تراه؛ هذا يوصلك لأن تراه.

---

[٤] [البقرة ٣٠]

[٥] [غافر ٧]

[٦] [طه ١٣٠]

[٧] [الطور ٤٨]

[٨] أخرجه البخاري برقم: (٥٥٤)، ومسلم برقم: (٦٣٣).

[٩] [ق ٣٩]

((فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا)) وهذه الجملة من لطافة كلام رسول الله؛ أي أنه قد يمرّ على الإنسان من الأحوال يُغْلَبُ فينام، ويتأخّر، ((فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ)) كلّما كان في استطاعتكم، قوّوا قلوبكم، وَ ((لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ)) **يُقصد:** الفجر، ((وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)) **يعني يُقصد:** العصر.

النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم تكلّم عن الصّلاة، لكن قرأ الآية: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ متى؟ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾، قرأها بعدما قال لنا صلّى الله عليه وسلّم: ((فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ))، وهناك الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾؛ **فهذا الاستنباط الدّقيق من ابن تيمية:** أنّ الصّلات الشّرعيّة؛ تتضمّن ما أمر به من التّسبيح بحمده: النّبيّ قال: ((صَلَاةٍ))، والله عزّ وجلّ قال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ **فإذن:** الصّلاة الشّرعيّة مُتضمّنة التّسبيح بحمد ربّنا.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

يقول: (**و أيضًا: ففي (صحيح مسلم)[1] عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه سُئل: أيُّ الكلام أفضل؟ قال: ((مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ))**.)

إذن: هذه الكلمات مقرونة:

- الصّلاة الشّرعيّة.
- التّسبيح بحمد لله.
- أفضل كلام يقوله الملائكة والعباد: ((سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ)).

سنرى أيضا: الدّليل الثّالث: (**وفي (الصحيحين)[1] عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه قال: ((كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ))**.) كلّ هذا دليل على اقتران: **التّسبيح بالتّحميد.**

---

[1] أخرجه مسلم برقم: (٢٧٣١).

(**وأمَّا التكبير فهو مَقْرُون بالتَّهليل:**) أين الدّليل على ذلك؟

قال: (**١- في الأذان؛ فإنَّ المؤذِّن يُكَبِّر ويهلِّل.**) تذكّروا جُمل الأذان؛ سيتبيّن لكم مباشرة: أنّ التّكبير مقرون بالتّهليل.

أيضا: (**٢- وفي تكبير الإشْرَاف**) **يعني:** إذَا يعلوا، (**كان إذا عَلَا نشزًا**[٢] **كبَّر ثلاثًا**) وكما هو واضح في الهامش؛ **المقصود:** المرتفع من الأرض. (**وقال: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))**[٣] فاقترن التّكبير في حال العلوّ مع التّهليل.

والموطن الثّالث قال: (**٣- وكذلك على الصَّفا والمروة.**) فالسّاعي (المُعتمر أو الحاجّ) إذَا اعتلى الصّفا أو اعتلى المروة؛ كبّر، ثمّ قال: (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير، لا إله إلاّ الله أنجز وعده، وصدق عبده، وهزم الأحزاب وحده).

(**٤- وكذلك إذا ركب دابة.**) يقول: ((سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)) [٤]فيُسبّح، ثمّ يكبّر ويهلّل، يقول: (الله أكبر، الله أكبر) ثمّ يقول: (لا إله إلاّ الله، اللّهمّ إنّي ظلمت نفسي ظُلما كثيرا وإن لم تغفر لي وترحمني لأكوننّ من الخاسرين) أو ما يشبه هذا في بعض النّصوص.

(**٥- وكذلك في تكبير الأعياد.**): (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد).

انتهى من نقاش مسألة اقتران التّكبير بالتّهليل، والتّسبيح بالتّحميد. وانتقل إلى الكلام عن **التّكبير ومشروعيّته في الأماكن العالية، والتّسبيح عند الانخفاض:**

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥٦٣)، ومسلم برقم: (٢٦٩٤).

(١) النشز: المرتفع من الأرض. انظر لسان العرب (١٤/٢٨٥).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٨٥)، ومسلم برقم: (١٣٤٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(والتكبير مشروع في الأماكن العالية، والتسبيح عند الانخفاض، كما في (السنن)[1] عن جابر، قال: "كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا علونا كبَّرنا، وإذا هبطنا سبَّحنا، فوضعت الصلاة على ذلك".) ويُقصد بهذا: أنّ هذا الشّأن يشبه أمر الصّلاة.

يقول ابن تيمية: (والمُصَلِّي في رُكُوعِهِ وسُجُودِهِ يُسَبِّح، ويُكَبِّرُ في الخَفْضِ والرَّفْعِ) يعني: وهو عالي يكبّر، فيخرّ مثلا: للسّجود، وهو يريد أن يرتفع؛ يُكبّر أيضا. (كما جاءت الأحاديث الصحيحة بمثل ذلك عن النبي صلّى الله عليه وسلّم.).

يعود يُشير إلى اقتران التّهليل بالتّكبير: (ومن اقتران التَّهليل بالتكبير: قول النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم لعدي بن حاتم: ((يَا عَدِيُّ، مَا يُفِرُّكَ؟ أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟))) النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم الآن في موقف دعوة عَدِيٍّ، رضي الله عنه؛ قد كان مُشركًا، وهو رجل وريثٌ للكرم: كريمٌ في طبعه، كريمٌ في خُلُقه، كريمٌ في عقله، يعني: ما يكون الكريم إلاّ عاقلا، الكريم الّذي يقصد الكرمَ، ويحبّه؛ ما يكون إلاّ عاقلاً.

فهذا عَدِيُّ بن حاتم، قد ورث الكرم، يُناقشه النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم، بعقله بعدما سأله: أنت كم تعبد؟ فَعَدَّ له في الأرض خمس أو سبع، قال: (وواحد في السّماء) فالآن المناقشة: أنّه ما حاجتك بمن تعبدهم في الأرض؟! الخمسة أو السّبعة! ما الّذي يجعلك تفرّ وتكره أن يُقال لا إله إلاّ الله؟! (((فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ؟! مَا يُفِرُّكَ؟ أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ؟!)). رواه أحمد والترمذي وغيرهما[2]) فهنا اجتمع التّهليل والتّكبير في عرض النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم التّوحيد على عَدِيٍّ، رضي الله عنه.

(فنقول: (التَّسبيح والتَّحميد) يجمع النَّفي والإثبات) الآن عاد إلى التّسبيح والتّحميد، واجتماعهما. يجمع بين النّفي والإثبات: النّفي مُتضمّن في التّسبيح، والإثبات مُتضمّن في التّحميد. يعني: الّذي يقول: (سبحان الله وبحمده)؛ هذا الكلام العظيم يتضمّن: نفي شيء، وإثبات شيء.

فقال: (نفي المعايب) فالتّسبيح: فيه نفي للمعايب. فكلّ نقص وعيب؛ تنزّه الله عنه.

---

[1] أخرجه البخاري برقم: (٢٩٩٣).

[2] أخرجه أحمد برقم: (١٩٣٨١)، والترمذي برقم: (٢٩٥٣) وحسنه الألباني.

والتّحميد: (**إثْبَات المحامد**) **إثبات:** أنّه حميدٌ، أنّه محمودٌ على أفعاله.

قال: (**وذلك يتضمَّن التعظيم**) **يعني:** اجتماع هذان الأمران يتضمّن التّعظيم. (**ولهذا قال:** ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[1] **وقال:** ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[1] **وقد قال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم:** ((اجْعَلُوا هَذِهِ فِي رُكُوعِكُمْ، وَهَذِهِ فِي سُجُودِكُمْ))[2] **وقال:** ((أَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ))[3] يعني: (سبحان ربّ العظيم) و (سبحان ربّي الأعلى) فآية سورة الأعلى، في السّجود، وآية سورة الواقعة، في الرّكوع.

(**فـ (التَّسبيح) يتضمن: التَّنزيه المستلزم للتعظيم.**) أُنزّه الله عن كلّ نقص، من أصل مادّة التّسبيح؛ لأنّ التّسبيح من سبح -كما هو مشهور- وسبح منه السّباحة الّتي هي البعد عن الشّاطئ؛ **وبهذا يُفهم:** أنّ الإنسان يُبعد كلّ صفة نقص عن الله.

(**و(الحمد) يتضمن: إثبات المحامد المتضمن لنفي نقائصها.**) معناه: سنزيد على نفي النّقص عن الله، أن نُثبت المحامد الكاملة، يعني: المتضمّنة لنفي نقص المحامد، فكلّ صفة نقص منفية عن الله، وكلّ صفة كمال لله؛ كاملة. فهذا يُضيفه لنا التّحميد.

(**وأمَّا (التَّهليل والتكبير): فـ (التَّهليل) يتضمن: اختصاصه بالإلهية وما يستلزم الإلهية، فهذا لا يكون لغيره، بل هو مختص به.**) **يعني:** لأنّه يجمع بين النّفي والإثبات؛ فهذا مُختصّ به. (**و(التكبير) يتضمن: أنَّه أكبر من كلِّ شيء، فما يحصل لغيره من نوع صفات الكمال فهو سبحانه أكبر من كلِّ شيء، فلا يُسَاوِيه شيء في شيء من صفات الكمال**).

ثمّ في جملة مُعترضة، قال: (-**فإنَّ المخلوق متصف بأنَّه موجود، و أنَّه حيٌّ، و أنَّه عليمٌ قديرٌ، سميعٌ بصيرٌ، إلى غير ذلك**-) لكن كلّها ناقصة؛ والله الأكبر، أكبر من كلّ شيء؛ فإذَا الإنسان حصّل نوعًا من الكمال، فهو: من الله، لكنّه لا يُساوي في كمال الله شيء؛ فما سمع الإنسان أمام

---

(1) [الأعلى ١]

(1) [الواقعة ٧٤]

(1) أخرجه ابن ماجه برقم: (٨٨٧) وضعفه الألباني ومعناه صحيح جاءت به أحاديث صحيحة.

(2) أخرجه مسلم برقم: (٤٧٩).

سمع الله؟! وما بصر الإنسان أمام بصر الله؟! وما قوّة الإنسان أمام قوّة الله؟! وما قدرة الإنسان أمام قدرة الله؟! - سبحان الله! -

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

سُبحان الله وبحمدهِ سُبحان الله العظيم

قال: (بل هي نوعان:

* نوع يختص به ويمتنع ثبوته لغيره،) يعني يقصد: الصّفات، (مثل: كونه رب العالمين، وإله الخلق أجمعين، الأول الآخر الظاهر الباطن، القديم الأزلي، الرحمن الرحيم) ولا يُزعجكم أن تسمعوا: (القديم الأزلي) فهو يريد بذلك بيان معنى: "الأوّل" - والله أعلم - (مالك الملك، عالم الغيب والشهادة، فهذا كله هو مختصٌ به، وهو مستلزم اختصاصه بالإلهية) يعني: مادام أنّه هو الإله فلابدّ أن يختصّ بهذه الصّفات؛ لأنّ اختصاصه بالألوهيّة كان من اختصاصه بهذه الصّفات. (فلا إله إلَّا هو، ولا يجوز أن يُعبد إلَّا هو، ولا يُتوكل إلَّا عليه، ولا يُرغب إلَّا إليه، ولا يُخشى إلَّا هو، فهذا كلُّه من تحقيق (لا إله إلَّا الله).

* وأمَّا (الله أكبر) فكل اسم يتضمن تفضيله على غيره، مثل قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾[٢]؛ وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[٢]؛ وقوله: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٢]؛ ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾[٢]؛ كما قال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم لعدي بن حاتم: ((أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ؟!)).) يمكن هنا نحتاج إلى أن نتأمّل الكلام، ونَفهم أنّه هنا يُقصد: النّوع الثّاني. يعني:

١) النّوع الأوّل: (نوع يختص به ويمتنع ثبوته لغيره).

---

[٢] [العلق ٣]

[٢] [المؤمنون ١٤]

[٢] [الأعراف ١٥١]

[٢] [الأعراف ١٥٥]

٢) **النّوع الثّاني:** لا يختصّ بالله، ولا يمتنع ثُبوته لغيره. **مثل ماذا؟** ﴿أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، ﴿خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾، فإذَا علمت أنّ النّاس يخطئ بعضهم على بعض، ويغفر بعضهم لبعض، علمت أنّ هذه الصّفة موجودة عند الخلق، لكن الله أكبر، ﴿خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾؛ إذَا علمت أنّ النّاس يرحم بعضهم بعضًا، ويشفق بعضهم على بعض، لكن الله ﴿أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾؛ إذَا علمت أنّ النّاس يخلقون من الأشياء، يعني: يحوّلونها من صورة إلى أخرى، الخلق هنا، بمعنى: التّحويل من صورة إلى أخرى؛ إذَا فهمتَ هذا فتأتي تقول: ﴿ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ معناها: أنّك تثبت أنّ هناك خالقون غير الله، ينقلون الشّيء من صورة إلى أخرى، لكن لا يُنشئون الشّيء من العدم. إذَا فهمنا هذا: فحتّى هذه الصّفات الّتي نحن نُسمّيها: صفات مشتركة؛ ماذا تكون؟ تكون لا شيء في صفات الله. (الله أكبر) تتضمّن تفضيله على غيره في مثل هذه الصّفات.

فهنا لابدّ أن تلحظوا: أنّه لمّا قال: **(بل هي نوعان: * نوع يختص به ويمتنع ثبوته لغيره،)** ثمّ أشار إلى النّوع الثّاني دون أن يوضّح هذا العنوان؛ **فيمكن أن نكتب في الملاحظات:** أنّ هذا هو النّوع الثّاني أُشير إليه بهذه الإشارة؛ أُشير إلى هذا هو النّوع الثّاني بهذه الإشارة: أنّه **(* وأمَّا (الله أكبر) فكل اسم يتضمن تفضيله على غيره)** يعني: في الصّفات المشتركة.

يقول: **(وأمَّا قول بعض النُّحاة: إنَّ (أكبر) بمعنى (كبير)، فهذا غلط مُخَالِفٌ لنص الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ولمعنى الاسم المنقول بالتواتر. وكذلك قول بعض النَّاس: إنَّه أكبر مما يُعلم أو يُوصف. ويقال: جعلوا معنى (أكبر) أنَّه أكبر مما في القلوب والألسنة من معرفته ونعته، أي: هو فوق معرفة العارفين.)** يقول ابن تيمية: **(وهذا المعنى صحيح، لكن ليس بطائل؛ فإنَّ الأنبياء والرسل والملائكة والجنة والنَّار وما شاء الله من مخلوقاته هي أكبر مما يعرفه النَّاس)** فما الميزة أن تقول: أنّ الله أكبر ممّا في القلوب والألسنة؟ يعني: أن تفسّر (أكبر) بهذا المعنى، أنّ معرفة الله فوق معرفة العارفين، معناه: أنّك لا تستطيع أن تعرف الله، وأن تقدره حقّ قدره؛ فهو يقول أنّ هذا المعنى موجود حتّى في الجنّة والنّار، أنّك أنت لو كنت تعرف الجنّة كما ينبغي؛ ما كنت هكذا كسلان! ولو كنت تعرف النّار كما ينبغي؛ ما كنت هكذا متباطئا في سيرك! - لكن الله المستعان! –

فيقصد ابن تيمية: أنّ هذا الأمر مشترك حتّى مع هذه الأمور.

(قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٢٤] وقال تعالى: ((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))[٢٥] فهذا المعنى ليس فيه زيادة، فلو قلت: (أنّ الله فوق معرفة العارفين)؛ حتّى الجنّة، وحتّى النّار؛ بنفس الحالة.

(فبعض مخلوقاته هي أكبر في معرفة الخلق من البعض، بخلاف ما إذا قيل: إنَّه أكبر من كلِّ شيء، فهذا لا يشْرَكه فيه غيره) فليس هناك مجال أن تشرك معه غيره في مثل هذا المعنى. (وبذلك فسَّر النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم هذه الكلمة في مخاطبته لعدي بن حاتم؛ حيث قال: ((أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ؟!)). وعلى هذا، فعلمه أكبر من كل علم) لو فهمت هذا المعنى؛ تعال إلى كلّ الصّفات، وأدخل عليها معنى اسم الله: (الكبير)، ومعنى: (التّكبير)، فانظر:

- (فعلمه أكبر من كل علم
- وقُدْرته أكبر من كل قدرة،

وهكذا سائر صفاته) رحمته أكبر من كلّ رحمة، مغفرته أكبر من كلّ مغفرة؛ فيصبح معنى: (الله أكبر) من كلّ شيء: من مخاوفي، الله أكبر من الظّالمين، الله أكبر من المعتدين، الله أكبر من الفقر، الله أكبر من المرض، الله أكبر من الشّيطان، معنى عظيم!

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

(كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[٢٦] فشهادته أكبر الشهادات. فهذه الكلمة تقتضي تفضيله على كلَّ شيء مما تُوصف به الأشياء من أمور الكمالات التي جعلها هو سبحانه لها، وأمَّا (التَّهليل):) يعني: الّذي يقترن بالتّكبير؛ (فيتضمن تخصيصه بالإلهية، ليس هناك أحد يتصف بها حتى يقال: إنَّه أكبر منه فيها، بل لا إله إلَّا الله.) معنى ذلك: أنّ التّكبير ييسّر عليك أمر التّهليل.

---

(٢٤) [السجدة ١٧]

(٢٥) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٤٤).

(٢٦) [الأنعام ١٩]

لأنّك إذَا فهمت التّكبير:

- **عرفت:** أنّه لا يمكن أن يكون أحد مثل الله.
- **وعرفت:** أنّ حقّ الله عليك عظيم!
- **والواجب عليك:** في القرب منه، والانكسار بين يديه عظيم!

لأنّ كلّ شيء أنت تراه عظيمًا؛ هو أعظم منه! وكلّ شيء تراه كبيرًا؛ هو أكبر منه! فتردّ عنك المخاوف.

نحن نقول في سيّد الاستغفار: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَ أَنَا عَبْدُكَ، وَ أَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ،)) يعني: أنت تستعيذ بالله من شرّ ما صنعت أنت! ((أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَ أَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْلِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)) [٢] هذا معناه: أنّ الإنسان حتّى لمّا تعظم في قلبه الذّنوب والمعاصي؛ يعلم أنّ الله أكبر منها! مغفرته سبحانه أكبر من الذّنوب الّتي اقترفها الإنسان، هو ﴿خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ سبحانه وتعالى؛ فما نيأس أبدًا من روح الله.

والحقيقة أنّ هذا الاسم: (**الكبير**)، وهذه الكلمة الباقية الصّالحة: (**الله أكبر**) من أعظم ما يُعالج المخاوف، ومن أعظم ما يطرد عنّا الخوف من غيره، فهو حرب على الشّيطان الرّجيم، وسيتبيّن الآن من كلامه:

يتكلّم عن **التّهليل** الآن، قال:

(وهذه تضمنت نفي الإلهية عما سواه وإثباتها له، وتلك تضمنت أنَّه أكبر مطلقًا، فهذه تخصيص، وهذه تفضيل لما تَضَمَّنه التَّسبيح والتحميد من النفي والإثبات؛ فإن كل ذلك إما أن يكون مختصًّا به، أو ليس كمثله أحد فيه، ولهذا كان التكبير مشروعًا على مشاهدة ما له نوع من العظمة في المخلوقات) يعني: لماذا في أماكن معيّنة، في أوضاع معيّنة أُمرنا بالتّكبير؟ أيّ شيء فيه نوع من العظمة؛ نكبّر الله. قال:

---

[٢] رواه البخاري في صحيحه.

(**كالأماكن العالية.**) لمّا تُشرف على مكان عالٍ، تراه عظيمًا، نوع من العظمة؛ **فيُقال:** كبّر الله. (**والشياطين تهرب عند سماع الأذان، والحريق يُطفأ بالتكبير؛ فإن مردة الإنس والجن يستكبرون عن عبادته ويعلون عليه ويحادُّونه. كما قال عن موسى: ﴿وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ (١٧) أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ (١٨) وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾[٢] فالنفوس المتكبرة تذل عند تكبيره سبحانه. والتهليل يمنع أن يُعبد غيره، أو يُرجى، أو يُخاف، أو يُدعى، وذلك يتضمن أنَّه أكبر من كلَّ شيء، و أنَّه مستحق لصفات الكمال التي لا يستحقها غيره.**).

نتوقّف في لقائنا هذا إلى هنا، وفي اللقاء القادم يكون إكمالا لقراءة هذه الرّسالة.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[٢] [الدخان ١٧_١٩]

اللقاء الثاني

بسم الله الرّحمن الرّحيم

نحمد الله حمدًا كثيرا طيّبا مباركا، أن بلّغنا هذه العشر، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجزل لنا الأجر، وأن يجعل باب العلم بابا واسعا من أبواب القربى إليه؛ **وهذا ما يجب أن نذكّر أنفسنا به:** أنّ التّعليم في زمن الحجّ من سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويا لها من سنّة شريفة؛ فالنّاس في زمن الحجّ يتفرّغون، ويجتمعون، فيكون من السّنّة تعليمهم، ومن السّنّة نشر الحقّ بينهم، وقد كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في يوم عرفة، وفي أيّام منى، يخطب في أصحابه خُطبًا مشهورة معروفة، فكان هذا من أعظم الأدلّة على مشروعيّة التّعليم في الحجّ، وعلى أنّه أحد أعظم أبواب الأجر؛ كنت مُعلّمًا، أو كنت متعلّمًا؛ فهذا باب عظيم من أبواب الأجر، وهو من أبواب الذّكر؛ **فكما أنّنا نعلم:** أنّ **التّكبير** مسنون في هذه الأيّام، **والتّسبيح، والتّهليل**، وكلّ أنواع الذّكر؛ مسنونة في مثل هذه الأيّام؛ **فإنّ:** التّعليم أيضا من ذكر الله؛ بل من أعظم أنواع ذكر الله.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

وها نحن بفضل الله، نقرأ رسالة نتعرّف فيها على شيء من معالم الذّكر، وهي: رسالة ابن تيمية، رحمه الله، المسمّات: بـ **"قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات"**، ويقصد بذلك: بيان شيء من المعاني لهذه الكلمات، **وكنّا قد عرفنا:** أنّ **التّهليل والتّكبير** مجتمعان، وأنّ **التّسبيح والتّحميد** أيضا مجتمعان. وعرفنا الأدلّة على اجتماعهم.

والآن - إن شاء الله - **ننتقل إلى معرفة:** أنّ كلمة **لا إله إلاّ الله**؛ أصل التّوحيد، وأساس الدّين. أقرأ - إن شاء الله - من الصّفحة ١٢:

يقول: (* **فهي أفضل الكلمات، كما في (الصحيحين)**[٣] **عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه قال:** ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَة - أَوْ سِتُّونَ – أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٩)، ومسلم برقم: (٣٥).

الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)). وفي حديث (الموطأ)[٣١]: ((أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)). وفي (سنن ابن ماجه)[٣٢]و(كتاب ابن أبي الدنيا)[٣٣]عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: ((أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلهِ)).) فكلمة: (لا إله إلاّ الله) وهو قد أشار إليها، **وأشار في الكلام السّابق:** أنّ **التّكبير**، يجعل العبد في ذلّ وانكسار، **والتّهليل**، يمنع العبد أن يعبد غير الله، أو أن يرجو غير الله، أو أن يخاف، أو أن يدعو؛ **وذلك يتضمّن:** أنّه أكبر من كلّ شيء، وأنّه مستحقّ لصفات الكمال، الّتي لا يستحقّها غيره؛ فكان **التّكبير للتّهليل** بمثابة التّمهيد، **يعني:** إذَا كان العبد مكبّرا لربّه، معظّما له؛ من الضّروري أن يصل إلى **التّهليل**.

وهو قد سبق أن كرّر ابن تيمية، رحمه الله، إيراد حديث عَدِيِّ بن حاتم، الّذي فيه أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم يُناقش عَدِيًّا بن حاتم، فيقول له: ((يَا عَدِيُّ، مَا يُفِرُّكَ؟ أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ؟!)) الدّليل أتى بعده: ((مَا يُفِرُّكَ؟ أَيُفِرُّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ؟!))[٣٤] فبيان: **(لا إله إلاّ الله)** ببيان أنّه سبحانه وتعالى أكبر من كلّ شيء.

فمن هذا علمنا: اقتران التّهليل مع التّكبير، ثمّ أتى هنا ببيان مكانة: (لا إله إلاّ الله)، وَنَعُدُّ - إن شاء الله - هذه المكانة مع ابن تيمية، سأترك الدّليل سأعُدُّ فقط الآن، قال:

١) **أوّلا:** (* **وهذه الكلمة هي أساس الدين**) هذا أوّلا.

٢) **ثانيا:** (* **وهي الفارق بين أهل الجنة وأهل النَّار**).

٣) **ثالثا:** (* **وهي الكلمة الطيبة الَّتي ضربها الله مثلًا كشجرة طيبة**).

٤) **رابعا:** (* **وبُعث بها جميع الرُّسل**).

٥) **خامسا:** (* **وهي الكلمة الَّتي جعلها إبراهيم في عقبه**).

---

[٣] برقم: (٢٤٦) وحسنه الألباني.

[٣] برقم: (٣٨٠٠) وحسنه الألباني.

[٣] في (الشكر) ١٠٢.

[٣] أخرجه أحمد برقم: (١٩٣٨١)، والترمذي برقم: (٢٩٥٣) وحسنه الألباني.

٦) سادسا: (* وهي دين الإسلام الَّذي لا يقبل الله دينًا غيره).

٧) سابعا: (* وكلُّ خطبة لا يكون فيها شهادة فهي جذماء).

هذا ما يظهر من كلامه في فضل هذه الكلمة، طرفًا من فضلها.

(**هي أساس الدين**) كما هو واضح: أنّ ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ، بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))[٣٣] وهي الّتي دعا إليها المرسلون؛ فهذه الكلمة العظيمة لابدّ أن تأخذ حظّها العظيم من نفوسنا، فإذا قلنا:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

اعتقدنا أنّ هذا يُلزمنا بألوهيّة الله، وعبادة الله وحده لا شريك له.

(*** وهي الفارق بين أهل الجنة وأهل النَّار**) وأورد حدث (**جابر عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، أنَّه قال:**) مُبيّنا المكانة لكلمة (**لا إله إلاّ الله**): ((الموجِبَتَانِ: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ))[٣٥] ((لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)) دليل على ماذا؟ دليل على (**لا إله إلاّ الله**)، دليل على الألوهيّة، فمعنى ذلك: أنّها: (**هي الفارق بين أهل الجنة وأهل النَّار**).

(وفي (**الصحيح**)[٣٦] عنه: ((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ)). وفي (**الصحيح**)[٣٧] أيضًا: ((لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)).) وهذه كلّها أدلّة واضحة على أنّ (**لا إله إلاّ الله**) تفرق بين أهل الجنّة وأهل النّار، بدليل: أنّه يُلقّن الموتى: (**لا إله إلاّ الله**)، لكي تكون لهم بمثابة الخاتمة الّتي يُختم عليها أعمالهم، فينجون بها.

وهي كما قال: (*** وهي الكلمة الطيبة الَّتي ضربها الله مثلًا كشجرة طيبة.**) كما في سورة إبراهيم، والمثل مشهور الحمد لله. فهي هذه الكلمة الطّيّبة الّتي إذَا وُجدت في قلب المؤمن كان

---

[٣٣] صحيح مسلم ـ كِتَاب الإِيمَانِ ـ حديث رقم ٥٤

[٣٤] أخرجه مسلم برقم: (٩٣).

[٣٥] أخرجه مسلم برقم: (٢٦).

[٣٦] أخرجه مسلم برقم: (٩١٦).

الأصل الثّابت، ثمّ تتفرّع منها أعمال صالحات، كالنّخلة الباسقة العالية، ثمّ تُؤتي ثمارها دائما؛ يقبل الله من العبد، ثمّ يجرّ العمل الصّالح عملا صالحا غيره؛ فهذه الكلمة الطّيّبة، **هي: (لا إله إلاّ الله)**.

(* وبُعث بها جميع الرُّسل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٣] فهذه بالضّبط رسالة الرّسل. ما هي؟ يُوحى إليهم هذا الأمر: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾، فمن ثَمَّ الّذي يدعو النّاس، ويترك التّوحيد؛ يكون ترك ما أُرسل به الرّسل! فمطالبة النّاس بالتّفاصيل لابدّ أن تكون مبنيّة على كلمة **(لا إله إلاّ الله)**، وعلى وجودها، وعلى اليقين بها؛ **فهي:** أصل دعوة الرّسل.

(* وهي الكلمة الَّتي جعلها إبراهيم في عقبه:) هذه الآية وردت في **سورة الزّخرف**، وفيها موطن لطيف جدّا، **يجدر التّنبيه له:** فهذه السّورة فيها إشارة إلى الزّخرفة، وزخرف القول، وكيف أنّ النّاس الّذين يبتعدون عن طريق الله، كانوا يزخرفون أقوالهم، ويكذبون على أنفسهم حال ما يُطلب منهم السّير في طريق الله، وكان من هذه الأقوال؛ حيث أنّ السّورة فيها ثلاثة أقوال أساسيّة، منها هذا القول: الّذي هو قول كلّ من دُعُوا، يعني: فيمن سبق، أنّهم قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾[٤]:لا نريد أن نسمع شيئا، لا نريد أن تعلّم شيئا، نحن مكتفون، متعلّمون، أهلنا علّمونا، نحن على ما كان عليه أهلنا؛ فكان هذا قول من أكثر الأقوال زخرفة؛ فكان الرّدّ عليهم: إذَا كنتم تريدون أن تقلّدوا آباءكم أيّها العرب؛ فأبوكم إبراهيم هو أحقّ بالتّقليد! ألم تروا أنّه ﴿جَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[٤] إليها؟! فيفهمون معناها، ويأتون بلوازمها؟! فكلّ من زخرف القول، تركنا زُخرفه وعدنا إلى كلمة **(لا إله إلاّ الله)**.

أشرت إلى هذه الآية؛ لأنّ هذه السّورة سورة عظيمة تُرشد النّاس إلى المحافظة على اعتقاداتهم، وعدم الجري وراء زخارف الأقوال، الّتي تُبيح ما كان محرّما.

نعود إلى كلمة **(لا إله إلاّ الله)**، قال:

---

(٣) [الأنبياء ٢٥]

(٤) [الزخرف ٢٣]

(٤) [الزخرف ٢٨]

(* وهي دين الإسلام الَّذي لا يقبل الله دينًا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين) وكما في آية آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[٤٢] الإسلام الّذي هو: الاستسلام لله بالتّوحيد؛ ومن ثَمَّ الانقياد له بالطّاعة، والخلوص من الشّرك وأهله. إذَا عُلم أنّ ﴿ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ أتت الآية التّالية (٨٥) في آل عمران: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[٤٣]فإذن: علمنا مكانة: (لا إله إلاّ الله)، أنّها هي أصل دين الإسلام؛ لأنّ المستسلم، يستسلم لله بالتّوحيد. والتّوحيد ما بيانه؟ بيان التّوحيد: (لا إله إلاّ الله).

يقول: (* وكلُّ خطبة لا يكون فيها شهادة فهي جذماء،) يعني: أنّ الخطيب إذا قام واستفتح، وما شهد أن لا إله إلاّ الله؛ فهي جذماء. أورد الحديث الّذي (في (سنن أبي داود) و(الترمذي)[٤٤] ((كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ)).) يعني: المقطوعة. (و(الحمد) مفتاح الكلام، كما في (سنن أبي داود)[٤٥]عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبدَأُ فِيْهِ بِالْحَمْدِ، فَهُوَ أَجْذَمُ)). ولهذا كانت السنة في الخطب أن تفتتح بالحمد، ويختم ذكر الله بالتشهد، ثمَّ يتكلم الإنسان بحاجته) الآن الحديث الّذي فيه: ((كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ)) هذا يرقى إلى درجة التّصحيح، أمّا الحديث: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبدَأُ فِيْهِ بِالْحَمْدِ)) فهذا مُرسل فيه ضعف.

يريد أن يصل إلى أنّ التّشهّد، يعني: قول: (لا إله إلاّ الله)، أمر عليه السّنّة، فأنت إذَا تكلّمت في خطبة كان الواجب عليك: التّشهّد، ثمّ تتكلّم بحاجتك. قال: (وبها جاء التشهد في الصلاة؛ أوله: التحيات لله، وآخره: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله.). فتكون هذه النّقطة الثّامنة بالنّسبة لنا، يعني: لو عددنا الآن هذه الكلمة الطّيّبة من البداية؛ أنّ كلمة (لا إله إلاّ الله):

١. (هي أساس الدين).

٢. (وهي الفارق بين أهل الجنة وأهل النَّار).

---

[٤٢] [آل عمران ١٩]

[٤٣] [آل عمران ٨٥]

[٤٤] أخرجه أبو داود برقم: (٤٨٤١) والترمذي برقم: (١١٠٦) وصححه الألباني.

[٤٥] أخرجه أبو داود برقم: (٤٨٤٠) وقال: أنه مرسل وضعفه الألباني.

٣. (وهي الكلمة الطيبة).

٤. (وبُعث بها جميع الرُّسل).

٥. (وهي الكلمة) الطيّبة (الَّتي جعلها إبراهيم في عقبه).

٦. (وهي دين الإسلام الَّذي لا يقبل الله دينًا غيره).

٧. (وكلُّ خطبة لا يكون فيها شهادة فهي جذماء).

٨. وبها جاء التّشهّد أيضا. يعني: هذه نقطة من النّقاط الّتي نقول فيها: أهمّيّة (**لا إله إلاّ الله**)، أوّلها: التّحيّات لله، وآخرها: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله.

قال: (**وفاتحة الكتاب نصفان: نصف لله، ونصف للعبد. ونصف الرب أوله حمد، وآخره توحيد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. ونصف العبد هو دعاء، وأوله توحيد: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**[٤٦]) فماذا يريد أن يقول؟ أنّه انظروا: للفاتحة، هي: نصف لله، ونصف للعبد. أوّل النّصف الّذي لله حمد، وآخره توحيد؛ فهي تشبه ماذا؟ تشبه التّحيّات؛ لأنّ التّحيّات أوّلها: (التّحيّات لله)، مثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٤٧]؛ وآخرها: (أشهد أن لا إله إلَّا الله)، وآخر الجزء الّذي في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. ولمّا ننظر في نصف العبد؛ ستجدين: أنّ أوّل النّصف الّذي للعبد؛ أيضا توحيد: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

يقول: (**والتكبير والتَّهليل والتَّسبيح مقدمة التَّحميد**[٤٨]؛ **فالمؤذن يقول: (الله أكبر الله أكبر)، ثمَّ يقول: (أشهد أن لا إله إلَّا الله). ويختم الأذان بقوله: (الله أكبر الله أكبر، لا إله إلَّا الله).**) فلمّا نقرأ هذا الكلام -الّذي يظهر- أنّه هو: (مقدّمة التّوحيد)، وليس (**مقدمة التَّحميد**)، وهي: ملاحظة في الهامش تجدونها. يعني: (**والتكبير والتَّهليل والتَّسبيح مقدمة** (التّوحيد))، استشهد بكلام المؤذّن؛ المؤذّن ما يقول في كلامه أبدا: (الحمد لله)؛ إنّما يقول: (الله أكبر) ويقول: (أشهد أن لا إله إلَّا الله).

---

[٤٦] [الفاتحة ٥]

[٤٧] [الفاتحة ٢]

[٤٨] هكذا في بعض النسخ، ولعلَّ الصواب: «التوحيد». والله أعلم.

يقول: (**وكذلك تكبيرات الإشراف والأعياد تُفْتَتح بالتكبير وتختم بالتوحيد، فالتكبير بساط.**) سنرجع للكلام الأوّل؛ التّكبير بساط نصل منه إلى كلمة: (**لا إله إلاّ الله**). (**وكذلك: (التسبيح) مع (التحميد): (سبحان الله وبحمده)، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[٤]؛ لأنَّ التسبيح يتضمن نفي النَّقائِص والعيوب، والتَّحْميد يتضمن إثبات صفات الكمال التي يحمد عليها.**) هنا كذلك يمكن أن تعود إلى أنّها بساط، يعني: يصبح التّسبيح بساطا للتَّحْميد؛ كما أنّ التّكبير بساط للتّوحيد. يعني: تمهيد، فيسبّح الإنسان، وينزّه الله عن النّقائص ثمّ يرتقي من ذلك إلى تحميده، يعني: وصفه بالكمال.

سنجد أنّه أشار إلى أنّ:

- (**كلُّ خطبة لا يكون فيها شهادة فهي جذماء**).

- وأنّ التّشهّد ابتدأ بالتّحيّات وانتهى بـ (**لا إله إلاّ الله**)، فيبدأ بالثّناء على الله، ثمّ هذا الثّناء يوجب علينا: توحيد الله، فلو نظرنا إلى الفاتحة وجدناها: ثناء انتهى بتوحيد الله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢) ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣) مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ انتهت بتوحيد الله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٥].

- ثمّ أنهى كلامه هنا بأنّ: (**والتكبير والتَّهليل والتَّسبيح مقدمة** (التّوحيد))، وأعاد استشهد بكلام ذكره في مسألة المؤذّن، وأنواع التّكبيرات الّتي عرفناها.

نبدأ الآن في:

(**فصل: وهو في نفس الأمر لا إله غيره، هو أكبر من كلِّ شيء، وهو المستحق للتحميد والتنزيه**)

هذا الفصل منفصل عمّا مضى؛ وإنّما أُلحق بالقاعدة لأجل أنّه يُناقش نفس المسألة، وهي: مسألة التّكبير والتّحميد، والكلمات الأربع العظيمة.

---

[٤] [طه ١٣٠]

[٥] [الفاتحة ٢_٥]

يقول: (**وهو في نفس الأمر لا إله غيره، هو أكبر من كلِّ شيء، وهو المستحق للتحميد والتنزيه، وهو متصف بذلك كله في نفس الأمر، فالعباد لا يثبتون له بكلامهم شيئًا لم يكن ثابتًا له، بل المقصود بكلامهم تحقيق ذلك في أنفسهم**) المعنى: من يقول الكلمات الأربعة: (**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر**)؛ لا يصف الله بشيء زائد ليس موصوفا به! فالعباد لا يُثبتون له بكلامهم شيئا لم يكن ثابتا. لماذا نقول: (**سبحان الله، والحمد لله، ولا إلاه إلاّ الله، والله أكبر**)؟ نقول هذا من أجل أن نحقّق ذلك في أنفسنا.

الآن يأتي مزيد البيان: (**فإنَّهم يسعدون السعادة التامة إذا صار أحدهم ليس في نفسه إله إلَّا الله**) الإنسان لمّا يذكر الله عزّ وجلّ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا؛ فإنّه لا يُقصد من كلامه هذا إثبات الأمر لله مجرّد الإثبات؛ **إنّما يُقصد بذلك:** أن تتحقّق بذلك أنت، تحقيق ذلك في نفسك؛ (**فإنَّهم يسعدون السعادة التامة إذا صار أحدهم ليس في نفسه إله إلَّا الله خلص من شرك المشركين؛ فإن أكثر بني آدم كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[٥] فهم يقرون أنه رب العالمين لا رب غيره،**) يعني: من جهة الرّبوبيّة؛ حاصل عند غالب النّاس اعتراف.

خرج علينا اليوم من حتّى هذا الاعتراف لم يحقّقه (**فهم يقرون أنه رب العالمين لا رب غيره، ومع هذا يشركون به في الحب أو التوكل أو الخوف أو غير ذلك من أنواع الشرك.**) فلمّا تقول: (**لا إله إلاّ الله، والله أكبر**) ماذا يُراد؟ أن تحقّق هذا في نفسك.

يقول: (**وأمَّا التوحيد: أن يكون الله أحب إليه من كلَّ ما سواه، فلا يحب شيئًا مثل ما يحب الله، ولا يخافه كما يخاف الله، ولا يرجوه كما يرجوه،**) يعني: ولا يرجو غير الله، كما يرجو الله، (**ولا يجله ويكرمه مثل ما يجل الله ويكرمه. ومن سوى بينه وبين غيره في أمر من الأمور فهو مشرك؛ إذ كان المشركون لا يسوون بينه وبين غيره في كل أمر، فإن هذا لم يقله أحد من بني آدم،**) **هنا سنلحظ ملحظا مهمّا:** هو يريد أن يقول: ربّما أتى أحد فقال: (أنا لست مشركا، فأنا لم أساوي بين الله في كلّ شيء وبين خلقه)، فيُقال له: (أخطأت! هذا الشّيء ما حصل أبدًا من بني آدم)، يقول: (**فإن هذا لم يقله أحد من بني آدم، وهو ممتنع لذاته امتناعًا معلومًا لبني آدم،**)

---

[٥] [يوسف ١٠٦]

لكن المشكلة تكمن في أنّك أنت تساوي بين الله وبين غيره في أمر من الأمور! يعني: ولو كان أمرا واحدا، مثلا: تُساوي غير الله مع الله في الخوف! تُساوي غير الله مع الله في الرّجاء! وهذا أمر ما يفهمه إلاّ من عرف حقّ الله، وعرف حدود المخلوقين، لأنّه دائما هنا عندنا مشكلة: لمّا يُقال: (لا يُحبّ غير الله) يصبح الإنسان يبغض النّاس، وما يحبّهم ويكرههم، ويهرب منهم! أين الإحسان إلى النّاس الّتي أمرت به الشّريعة؟ أليس هناك توازن؟ تتطرّف تماما؟ لا! لا! ليس بهذه الطّريقة! الشّريعة ما أمرتك بهذه الطّريقة! إنّما المقصود أن تُخلّي قلبك من الحبّ المطلق، الّذي ليس له حدود، وتعلم أنّك لو أحببت في الله، وأخذت في الله، وأعطيت في الله؛ فهذا من الإيمان والتّوحيد؛ فنحن هنا عندنا مشكلة كبيرة في تصوّر هذه المسألة! إذَا ساويت بين الله وبين غيره من خلقه في أمر من الأمور؛ هذا شرك!

يأتي الطّرف الثّاني يظنّ أنّ المشرك لا يكون إلاّ مساويا بين الله وبين خلقه تماما! بمعنى: أنّ المساوات تكون في كلّ شيء، يرى نفسه ليس مشركًا إلاّ إذَا ساوى كلّ شيء! يعني: ساوى في الحبّ، وفي الخوف، وفي الرّجاء، وفي كلّ شيء. لا، ما يكون! (**وهو ممتنع لذاته امتناعًا معلومًا لبني آدم، لكن منهم من جحده وفضل عليه غيره في العبادة والطاعة،**) نعم، **يعني:** يحصل أنّه بعض بني آدم يتّجهون لغير الله، فيطلبون منهم، والشّياطين تدعوهم لذلك بطُرُق عدّة. يقول: (**لكن مع هذا لم يثبته ويسوي بينه وبين غيره في كل شيء،**) يعني: ممكن يعبد غير الله، لكن يبقى يرى أنّ الله هو الأكبر، هو الأعظم، (**بل في كثير من الأشياء،**) يعني: ليس في كلّ شيء، لكن في كثير من الأشياء، (**فمن سوى بينه وبين غيره في أمر من الأمور فهو مشرك.**) هذا المقطع كلّه يريد أن يصل إلى هذه المسألة: أنّه لا يأتي أحد فيقول: (أنا ما سوّيت بين الله وبين خلقه إلاّ في هذه المسألة البسيطة! أنّني اعتقدت بأنّ رزقي في يد فلان! أو أنّ الوليّ الفلاني هو الّذي يُعطي الأرزاق! وإلاّ فإنّي مؤمن بالله، ومؤمن بأنّني سألقاه، وأنّ ربّنا سيحاسبني)! نقول: لو أنّ أمرًا من الأمور يكفي! هنا مشكلة ظاهرة ومعلومة.

(**قال الله تعالى:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾[٥])، ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ هنا، يعني: يُساوون، (**أي: يعدلون به غيره. يقال:**

---

[٥] [الأنعام ١]

عدل به، أي: جعله عديلًا لكذا ومثلًا له.) فجعل أندادًا مع الله، جعلهم مثل الله، **(وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾**[٤] فحصلت التّسوية.

(وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[٥] **فلا إله إلَّا هو سبحانه، وما سواه ليس بإله، لكن المشركون عبدوا معه آلهة، وهي أسماء سموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان، كما يُسَمَّى الإنسانُ الجاهلَ عالمًا والكاذبَ صادقًا،)** يعني: هذه خِرْقَةٌ، يأتون فيسمّونها إلهًا! ويعتبرونها إلهًا! فهنا مشكلة في مسألة التّسمية، ومن أعجب الأشياء الّتي تُرى في مكّة هذه الأيّام - الله يهدي المسلمين ويعلّمهم - الوضوء بالهواء! أو التّيمّم بالهواء! حقيقة أنا رأيت هذا بعيني! تأتي جماعة أو ضاقت بهم السّبل وليس هناك مكان يتوضّؤون فيه، فيقفون أمام جدار، و تشعر كأنّه يُصبّ عليهم ماء، وهم يتوضّؤون! فالآن سمّوا هذا: وضوءً! ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾[٦]! هنا ليس لها علاقة بالشّرك؛ وإنّما لها علاقة بالبدعة، لكن المقصود: أنّه حتّى البدعة جاءت أسماء! وهذا **(كما يُسَمَّى الإنسانُ الجاهلَ عالمًا والكاذبَ صادقًا،)** فالإنسان من الخديعة تسمية الأشياء بغير اسمها، ومن اليقظة والفطنة تسمية الأشياء باسمها **(لا في نفس الأمر،)** يعني: هؤلاء لمّا ساووا بين غير الله وبين الله؛ أسماء سمّوها! لكن ليسوا آلهة في نفس الأمر **(وهؤلاء آلهة في نفوس المشركين بهم،)** لكن **(ليسوا آلهة في نفس الأمر؛ ولهذا كان ما في نفوسهم من الشرك هو إفكًا، قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾**[٧]؟ **وقال أيضًا: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾**[٨] فهذه كلّها كما أورد الأدلّة؛ إنّما هي كذب اخترعوه، والنّاس عظّموه! وأشبه شيء بهذا اليوم: الدّيموقراطيّة! كذب! كلمة اخترعوها، وأصبحوا يضغطون بها على الشّعوب، ويضغطون بها على النّاس، أكّلوهم وهمًا! وشرّبوه مثله! فصارت إلهًا تُعبد من دون الله! تقول له: (احكم بالشّرع!)، يقول لك: (الدّيموقراطيّة)! ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ على أساس أنّ أيّ شيء يُخالف الدّيموقراطيّة يكون بطلاً! وما هي

---

(٥) [الشعراء ٩١_٩٨]

(٥) [البقرة ١٦٥]

(٥) [النجم ٢٣]

(٥) [الصافات ٨٥_٨٦]

(٥) [العنكبوت ١٧]

الدّيموقراطيّة؟! هاتها نتعرّف عليها، هاتها نحاورها ونكلّمها، هات دستورها على الأقلّ نفهمه! فيقول لك: (هو رأي الشّعب)! أيّ شعب هذا؟! المهمّ أنّ هذا الكذب كلّه يعود إلى نفس النّقطة الأساسيّة: أنّها أسماء سمّوها!

(والموحد صادق في قوله: (لا إله إلّا الله)، وكلما كرر ذلك تحقق قلبه بالتوحيد والإخلاص. وكذلك قوله: (الله أكبر)؛ فإنه تعالى كل ما يخطر بنفس العباد من التعظيم فهو أكبر منه؛) أيّ شيء يخطر في بالك أنّك أنت تعظّم الله به؛ الله أكبر منه. **(الملائكة والجن والإنس، فإنه أي شيء قُدِّرَ في الأنفس من التعظيم كان دون الذي هو متصف به. كما أنه سبحانه فوق ما يثني عليه العباد، كما قال أعلم الناس به: ((لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ))[٥٨] فكلما قال العبد: (الله أكبر) تحقق قلبه بأن يكون الله في قلبه أكبر من كل شيء، فلا يبقى لمخلوق على القلب ربَّانيَّة تساوي ربَّانيَّة الرب، فضلًا عن أن تكون مثلها.)** إذن: الّذي يقول: (الله أكبر) ما يبقى مخلوق في القلب له سلطة وله أثر في نفسه. نقصد بذلك: سُلطة تساوي ربّانيّة الرّبّ سبحانه وتعالى.

(وهذا داخل في التوحيد) يعني: في كلمة: **((لا إله إلّا الله)، فلا يكون في قلبه لمخلوق شيء من التأله،)** إذَا قلت: **(الله أكبر)** فهو أكبر في التّأليه، ما يدخل معه أحد **(لا قليل ولا كثير، بل التأله كله لله، ولكن للمخلوق عنده نوع من القدر والمنزلة والمحبة، وليست كقدر الخالق.) وهذا ما اتّفقنا عليه:** أنّه لا تشذّ في هذا المعنى، بل من الطّبيعي أن نحبّ النّاس وأن نقدّرهم، ونزّلهم منازلهم.

بيّن الآن هنا المحبّة، قال: **(والمحبة المأمور بها: هي الحب لله كحب الأنبياء والصالحين، فهو يحبهم؛ لأن الله أمر بحبهم، فهذا هو الحب لله، فأما من أحبهم مع الله فهذا مشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[٥٩] فالحب في الله إيمان، والحب مع الله شرك. وكذلك إذا قال: (سبحان الله، والحمد لله) فقد نزه الرب، فنزه**

---

(٥٨) أخرجه مسلم برقم: (٤٨٦).

(٥٩) [البقرة ١٦٥]

قلبه أن يصف الرب بما لا ينبغي له، فكلما سبَّح الربَّ تنزهت نفسه عن أن يصف الرب بشيء من السوء،) يعني: الّذي يقول: (**سبحان الله**) يبعد فكره تماما مسألة النّقص، فتنزّه نفسك أن تصف الرّبّ بشيء من السّوء.

ولاحظوا عبارته لطيفة جدّا؛ معتمد على الكلام الأوّل الّذي ذكره سابقا، فلمّا تقول أيّ كلمة من كلمات **التّهليل، والتّكبير، والتّسبيح**؛ فأنت لا تزد في وصف الله شيئا؛ وإنّما تريد أن تنفعل بهذا؛ فلذلك عبّر هنا أنّك تُنزّه قلبك أن يصف الرّب بما لا ينبغي له.

وهذه كلمة دائمة التّكرار، **لابدّ من التّنبّه لها:** أنّك تأتي إلى فؤادك، وتُبعد كلّ صورة يُلقيها الشّيطان عليه، كلّ صورة ممكن الشّيطان يُلقيها على فؤادك؛ صورة سوء، وصف سيّء، ظنّ سيّء في الله! كلّ هذا تُبعده بتسبيحك.

(**كما قال سبحانه:** ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٦١] **وقال:** ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾[٦٢] **فهو سبحانه سبَّح نفسه عمَّا يصفه المفترون والمشركون. فإذا سبَّح الربَّ كان قد زكَّى نفسه.**) أنت تزكّي نفسك بهذا، تقول: (**سبحان الله**)، تقول: (أبعد عن فؤادي أيّ سوء ظنّ في الله، تعالى الله عن هذا!). (**وقد سمَّى الله الأعمال الصالحة زكاة وتزكية في مثل قوله:** ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٦٣].

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾[٦٤] **قال: (يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص)**[٦٤] **فجمع بين التزكية من الكفر والذنوب.**) الآن خرج لمعنى التّزكية؛ لأنّه يقول: (**فإذا سبَّح الربَّ كان قد زكَّى نفسه.**) فيخرج في مقالة طويلة عن التّزكية، سأتركها إلى اللّقاء القادم، لكن في الصّفحة: ٢٤ يأتي إلى **الحمد**، فهذه طريقة ابن تيمية تحتاج إلى كثير من التّركيز؛ لأنّه ما إن يُفسح له في فكرة، إلاّ ويُعطيك ممّا أعطاه الله من خيرات فيها.

---

[٦١] [الصافات ١٨٠]
[٦٢] [الإسراء ٤٣]
[٦٣] [فصلت ٦_٧]
[٦٤] [البقرة ١٢٩]
[٦٤] تفسير الطبري (١/٦٤٥) طبعة إحياء التراث.

في الصّفحة: ٢٤ ستأتي مسألة: **الحمد**. هنا تكلّم عن **التّسبيح**، ثمّ بيّن أنّ أثر التّسبيح على نفوسنا؛ تزكية نفوسنا.

اللّهمّ علّمنا ما جهلنا، واكتب لنا بهذا العلم درجات، واجعله سببا لرفيع الجنّات. نحتسب على الله جلوسنا هذا الوقت، طاعة وعبادة لله، ونوعًا من ذكره سبحانه وتعالى.

جزاكم الله خيرا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللقاء الثالث

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

لازلنا نقرأ في هذه الرّسالة: **"قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات"**، ووصلنا إلى الكلام حول فصل جديد يُناقش نفس المسألة: مسألة معنى (**لا إله إلاّ الله**) واقترانها **بالتّكبير**، و(**سبحان الله والحمد لله**) واقترانهما. ووصلنا إلى الكلام حول مسألة: **التّزكية**، وكيف أنّ كلمة (**سبحان الله والحمد لله**) فيها تنزيه للرّبّ.

يقول: (**وكذلك إذا قال: (سبحان الله، والحمد لله) فقد نزه الرب، فنزه قلبه أن يصف الرب بما لا ينبغي له، فكلما سبَّح الربَّ تنزهت نفسه عن أن يصف الرب بشيء من السوء، كما قال سبحانه:** ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٦٤] **وقال:** ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾[٦٥] **فهو سبحانه سبَّح نفسه عمَّا يصفه المفترون والمشركون. فإذا سبَّح الربَّ كان قد زكَّى نفسه.**) أثر التّسبيح: تزكية النّفس. (**وقد سمَّى الله الأعمال الصالحة زكاة وتزكية في مثل قوله:** ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٦٦]) هنا استطراد من المصنّف رحمه الله، فتكلّم بالمناسبة عن مسألة التّزكية؛ فإذَا كان قول: (**سبحان الله، والحمد لله**) - سبحان الله! - يُزكّي الإنسان نفسه عن أن يكون في قلبه أيّ سوء ظنّ بالله، أو أيّ تصوّر باطل عن كمال الله؛ فيكون هذا تزكية للنّفس.

ثمّ بدأ في الاستطراد يتكلّم عن التّزكية: (**وقد سمَّى الله الأعمال الصالحة زكاة وتزكية في مثل قوله:** ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٦٦] **قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس:** ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾[٦٦] **قال: (يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص)**[٦٧] **فجمع بين التزكية من الكفر**

---

(٦٤) [الصافات ١٨٠]
(٦٥) [الإسراء ٤٣]
(٦٦) [فصلت ٦_٧]
(٦٦) [فصلت ٦_٧]
(٦٦) [البقرة ١٢٩]

والذنوب.) ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ (٦) ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ بمعنى: أنّهم لا يزكّوا أنفسهم من الشّرك. ووُصف النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾: (طاعة الله والإخلاص) كما قال ابن عباس؛ فمن ثَمَّ يُزكَّى الإنسان من الشّرك، من الكفر، من الذّنوب.

(وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَيُزَكِّيكُمۡ﴾[1]؛ "يطهركم من الذنوب". وقال في آية الصيف[2]؛ "يطهرهم من الذنوب والكفر".) **ويقصد بهذا:** أنّ الآية أتت في موطنين: موطن أتت في الصّيف، وموطن أتت في الشّتاء، وهو في هذا يورد الآيات الّتي وردت في وصف النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه من يُزكّي، أنّه من وظائفه التّزكية؛ يعني: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يُزكّي قلوبهم ويطهّرها من أدناس الشّرك والفجور والضّلال، وهي على معنى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3]؛ والمقصد: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كانت هذه وظيفته.

ما العلاقة الآن بين موضوعنا، وبين هذا؟

هذا الّذي يجب عليكم أن تلاحظوه في قراءة الرّسائل الّتي تكون خاصّة لابن تيمية؛ انتقاله لمسألة التّزكية إنّما كان لبيان أنّ الجمع بين: (**سبحان الله، والحمد لله**)؛ يُراد بـ (**سبحان الله**): التّزكية، وتكلّم في هذا، وأورد الآيات الّتي تتكلّم عن التّزكية.

نحن سنترك الكلام عن التّزكية، وننتقل إلى: (**الحمد لله**)، ونرى تعليقه على الجمع بينهما:

قال: (وكذلك (الحمد)؛ كلمَّا حمد العبد ربه تحقق حمده في قلبه، معرفةً بمحامده، ومحبةً له، وشكرًا له.) يعني: (**سبحان الله**) تُحقّق التّزكية، تطهير القلب. و(**الحمد لله**) إذَا تحقّق في القلب حمد الله حقًّا سيكون هذا بمعرفة محامد الله؛ معرفة محامد الله، بمعنى: معرفة كماله سبحانه وتعالى، ويُؤثّر هذا ويوصل إلى المحبّة له، والشّكر له، سبحانه وتعالى.

---

[1] تفسير الطبري (١/٦٤٥) طبعة إحياء التراث.

[2] [البقرة ١٥١]

[3] [آل عمران ١٦٤]

[4] [الشمس ٩]

يقول: (**والألف واللام في قوله: (الحمد لله) فيها قولان:**) بعدما انتهى من التّعليق على اقتران: **التّكبير**، مع **التّهليل**، واقتران: (**سبحان الله والحمد لله**)، كيف أنّ (**سبحان الله**) تزكّي، و(**الحمد لله**) إذَا تحقّقت تملأ القلب محامد الله، بكماله، ثمّ تأتي المحبّة، ثمّ يأتي الشّكر، انتقل للكلام عن الألف واللاّم في: (**الحمد لله**):

قال: (**فيها قولان: قيل: هي للجنس، كما ذكره بعض المفسرين من المعتزلة، وتبعه عليه بعض المنتسبين إلى السنة. والثاني وهو الصحيح: أنَّها للاستغراق، فالحمد كله لله،**) **يعني:** الألف واللاّم هنا إمّا للعهد، وإمّا لاستغراق المحامد، (**كما جاء في الأثر: ((لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ))**[٧] وهذا من لطيف استنباطه؛ فإنّه لمّا قرأ في الأثر الوارد عند الإمام أحمد، أنّ الله له الحمد لله، وله الملك كلّه، فإذَا كان الأمر بهذه الصّورة؛ فإذن معناه: أنّ الألف واللاّم في **الحمد** لابدّ أن تكون لاستغراق جميع المحامد، لابدّ أن تكون بهذه الصّورة؛ لأنّه ما معنى أن يكون له الحمد كلّه إلاّ هذا المعنى: أن تستغرق جميع المحامد.

والمستغرب أنّهم يقولون: أنّ ألف لام للعهد! وما العهد الّذي سيكون في هذه المسألة؟! إلاّ كلّ المحامد الّتي علم عنها النّاس أو لم يعلموا.

(**فله الحمد حمد مستقل، وله الملك ملك مستقل،**) تامًّا، كاملاً، والآن سيبيّن معنى الاستغراق في المسألتين: في (**الملك**) وفي (**الحمد**)؛ من أجل أن نفهم هذا -سنبدأ بالملك الآن- قال:

(**وله الملك ملك مستقل، ولكن هو سبحانه يؤتي الملك من يشاء، والَّذي يؤتيه هو من ملكه،**) إذن: أيّ واحد عنده مُلك؛ لا يظنّ أنّ هذا المُلك خرج من مُلك الله، وأصبح هذا المالك لهذا المُلك مستقلاً عن الله؛ بل كلّ شيء مُلك لله: الآدمي وما مَلك، وما يملك.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

ولذَا فإنّه من سُنن الحجّ، ومن هديه، ومن أعظم ما فيه من أعمال؛ يأتي الهدي، وقد قال بعض أهل العلم: أنّ الهدي سُمّي بذلك لأنّه أُهدي لنا من الله، ونحن نتقرّب إلى الله به،

---

(٧) أخرجه أحمد برقم: (٢٣٣٥٥) وفيه راوٍ مبهم.

واستدلّوا عل هذا أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال حال نحره في منى أُضحيته العظيمة، الّتي نحرها بيده صلّى الله عليه وسلّم، تلك الإبل الّتي كانت تتدافع لتقترب من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، آية وشاهدا على نبوّته، صلّى الله عليه وسلّم، قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ينحر: ((اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ))[٧]، يعني: أنت الّذي أنعمت به علينا، وها نحن نتقرّب به إليك. فالحمد لله حمدا كثيرا طيّبا مباركا على ما بيّن لنا، وعلّمنا، وأفهمنا، وهذّبنا، وطهّرنا، الله يزيدنا معرفة بالحقّ، وتقديرا للشّؤون كلّها.

يقول: (**ولكن هو سبحانه يؤتي الملك من يشاء، والَّذي يؤتيه هو من ملكه، وكلُّ ما تصرف فيه العبد فهو من ملك الرب، وهو مستقل بالملك، ليس هذا لغيره.**) الله وحده المستقلّ بالمُلك، بدليل بسيط وواضح: أنّ هذا مُلكه يؤتيه من يشاء، ثمّ ينزعه ممّن يشاء، وأنت تصوّر هذا المعنى على قدر مُلك الإنسان: فإنّنا لمّا نملك شيئا ونُعطيه من نشاء، ثمّ لأنّ مُلكنا ضعيف؛ نتحرّج جدّا أن ننزعه منه، لكن في النّهاية ممكن بسهولة أن ننزعه منه وإن وصل الأمر حتّى إلى حدّ القضاء! لكن بعد أن أعطيناه ممكن أن ننزعه منه.

فإذَا فهمت المُلك؛ تفهم من ذلك: (**الحمد**)، قال: (**كذلك الحمد**) فإذن اتّفقنا: أنّ الله مستقلّ بالمُلك، وهذا ليس لغيره، وأنّ النّاس مهما ظنّوا أنّهم مستقلّون بالمُلك؛ فهو لا شيء في ذلك! (**كذلك الحمد هو مستقل بالحمد كلِّه؛ فله الحمد كلّه، وله الملك كله.**) افهم (**الحمد**) مثلما تفهم (**المُلك**)؛ كلّ المحامد إنّما هي وصف الله، وأيّ أحد تحمدينه على أيّ شأن، يعني: تدلّ الفطرة على كماله؛ فالمحامد كلّها تعود لله.

(**فله الحمد كلّه، وله الملك كله، وكلُّ ما جاء به الإذن من موجود فله الحمد عليه، وكلُّ ما جعله للعباد مما يحمدون عليه فله الحمد عليه.**) إذَا أَذِنَ الله وأعطاك؛ له الحمد سبحانه، وإذَا أنت أيّها الإنسان رأيت شيئا من النّاس يُحمدون عليه، فله الحمد سبحانه وتعالى عليه؛ وهذا كثيرا ما نجده لمّا نرى حِلْمَ الحُلَمَاء، وعِلْمَ العُلَمَاء؛ يبهرنا، فكلّ في بابه! لمّا يبهرك كرم الكُرَمَاء؛ تعلمين أنّ هذا الّذي حُمِدوا عليه؛ إنّما أُعطوهُ من الله! - سبحان الله! فالله يُحمد عليه.

---

[٧] فضائل الأوقات للبيهقي ــ حديث رقم ٢٠١

فهذا يفسّر لنا: الكلام عن (**المُلك**) مع (**الحمد**) لأنّ الأمور الّتي يُحمد عليا؛ أتت بإذنه سبحانه وتعالى، يعني: نحمد الله على الصّحّة والعافية، نحمد الله على الهداية للإسلام، نحمد الله على الأمن والأمان، الله يزيد الأمن والأمان، ويزيد الهداية، ويعلّم المؤمنين التّوحيد، ويجعلهم في غاية الاهتمام بالعلم، الّذي يوصلهم إلى ربّهم.

لمّا ترى هذا؛ ترى أنّ هذا ممّا يُحمد عليه سبحانه وتعالى، الأمن والأمان، وسعة الرّزق، والصّحّة والعافية؛ فكلّه من مُلك الله! وكلّه يُحمد الله عليه: يُحمد على رزقه، يُحمد على بركته الّتي يُنزّلها، يُحمد على شرعه ودينه، فله الحمد عليه؛ بل (**وإذا ألهمهم الحمد فهو الَّذي جعلهم حامدين.**) فله الحمد أن ألهمنا الحمد.

فهنا تبيّن الاستغراق، فلو عددنا (**الحمد**) سنرى: أنّ كلّ نعمة موجودة، أَذِنَ الله بها، فله الحمد عليها، وكلّ صفة وُجدت في العباد يُحمدون عليها، فالله الّذي أعطاها، وإلهامنا الحمد؛ ممّا يُحمد عليه سبحانه وتعالى.

الآن سيكلّمنا عن المعتزلة، سنختصر؛ لأنّ هذا ليس مقصودنا، يقول:

(**و(المعتزلة) لا يُقِرُّون بأنَّه جعل الحامد حامدًا، والمصلي مصليًّا، والمسلم مسلمًا،**) من أين أتت أعمالهم؟ (**بل يثبتون وجود الأعمال الصالحة من العبد لا من الله،**) يعني: بالاستقلال يعتبرونه! وهذا كلّه وهم هاربون من شيء، الله المستعان هربوا من شيء وقعوا في أسوأ ممّا كانوا يظنّون! يقولون: (**فلا يستحق الحمد على تلك الأعمال على أصلهم؛**) هم ما يقولوا هذا أبدًا ولكن هو يقصد: أنّ هذا لازم كلامهم، فهم يقولون القول وما يفكّرون في لازمه؛ وهنا تكمن المشكلة: أنّه هناك كثيرون ممّن يتكلّمون بأقوال، لا يفكّروا بلازم هذا القول بعد ذلك! وتحصل مشاكل، وأحيانا تُستباح دماء، بناء على أنّه ما فكّر في لازم كلامه.

مثال بسيط وبعيد تماما عن المسائل الشّرعيّة، قريب من الحياة الاجتماعيّة: الآن

لو أحدا في مجلس قال عن الجارة، أو عن القريبة: (هذه المرأة أنا أشكّ في سلوكها) فقط! ما يدري لازم هذا الكلام! تشكّ في سلوكها؟! هذه الكلمة يلزم منها أنّها: خبيثة الطّويّة! أنّها -الله

يحفظنا، ويحفظ بناتنا، وبنات المسلمين، وذرّاتنا جميعا- ممكن تكون قريبة من الزّنا! فكّر في لازم هذا الكلام! لو سمع أهلها هذا الكلام؛ يلزم منه أنّهم سيقتلونها! أنا أتكلّم عن بيئات كثيرة عادت مرّة أخرى إلى هذا الأسلوب بسبب ما أصبح موجودا الآن في الحياة -الله يعيذنا من البلاءات!- هم ما فكّروا في اللاّزم! قالوا: (إن العبد مستقلّ بالأعمال الصّالحة)! لو العبد مستقلّ بالأعمال الصّالحة، معناها: لن نحمد ربّنا على أنّه وفّقنا للأعمال الصّالحة!

كيف يفكّرون؟ يقولون: (**إذ كان ما أعطاهم من القدرة والتمكين وإزاحة العلل قد أعطى الكفار مثله، لكنَّ المؤمنون استقلوا بفعل الحسنات،**) يعني: أعطانا كلّنا القدرات، لكن المؤمنين هم الّذين اختاروا، فهم اختاروا بأنفسهم، فلا يُحمد ربّنا على ذلك!

هم ما يفهمون هذا اللاّزم؛ وإنّما يقولون هذا القول يُطلقونه من دون أن يفكّروا في لوازمه.

الشّاهد يقول: (**كالأب الَّذي يعطي ابنيه مالًا، فهذا ينفقه في الطاعة وهذا ينفقه في المعصية، فهو عندهم لا يمدح على إنفاق هذا الابن، كما لا يذم على إنفاق الآخر.**) فهذا إنّما من حسن سلوك الابن، وليس الأب يُحمد عليه! ما يفكّروا أنّ الأب هو الّذي ربّاهم، هو الّذي أعطاهم، هو الّذي أغناهم بتوجيهاته، وبالمال.

يقول: (**وأمَّا (أهل السنة) فيقولون كما أخبر الله تعالى:**) ماذا يقولون أهل السّنّة؟ (إنّ الله يُحمد على أن جعل في قلوبنا حبّ الأعمال الصّالحة)، ﴿**وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ**﴾ هذا فعل الله! ﴿**وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ**﴾ هذا فعل الله! ﴿**وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ**﴾[٧٦] هذا فعل الله! إذن: فعل الله أن حبّب الإيمان، اللّهمّ حبّب إلينا، وإلى ذرّيّاتنا صغارهم وكبارهم، وإلى أبناء المسلمين الإيمان، وزيّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

أيضا من الشّواهد، قول أهل الجنّة: (**وقال أهل الجنة:** ﴿**ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ**﴾[٧٧]) الله الّذي هدانا!

---

[٧٦] [الحجرات ٧]

[٧٧] [الأعراف ٤٣]

ومن الشّواهد الواضحة، قول الخليل: (**وقال الخليل:** ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[٧] ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، (**وقال هو و ابنه إسماعيل:** ﴿وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾) أنت اجعلنا يا ربّ منّتك! (﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾) يا ربّ! (﴿أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾[٧] فإذَا عرفوا أنّ الله هو الّذي بيده هداية التّوفيق؛ حمدوا الله على ذلك؛ فالمؤمنون يعلمون أنّ هداية الدّلالة من الله، وهداية التّوفيق أيضا من الله. فعل العبد أين؟ أن يقبل هداية الدّلالة، إذا قَبِلَ هداية الدّلالة؛ التّوفيق من الله. هم يقفون عند هداية الدّلالة، ويقولون: (إذَا وُجدت هداية الدّلالة، معناها أنت بعد ذلك هذا فعلك!)! لكن نحن نقول: (الله يهدينا هداية الدّلالة، يعني: يرسل إلينا الرّسول، وينزّل الكتاب، ويسّر لنا أسباب العلم)، هذا جميل، لمّا نصدق في إرادة الحقّ: الله يهدينا هداية التّوفيق؛ فهداية التّوفيق بيد الله، كما أنّ هداية الدّلالة بيد الله، والعبد في الوسط هنا ينظر إلى هداية الدّلالة، يرغب في الإيمان؛ إذن: مباشرة يطلب من الله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[٨] **الله يقول:** ((هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ))[٨] هذا يترتّب عليه: (**يحمدون الله حمد النعمة وحمد العبادة،**) إذَا أعطانا النّعمة - الحمد لله - نحمد الله، وإذَا وفّقنا للعبادة - الحمد لله - ولذلك انظري كيف لمّا تعيشي هذا الموقف؛ تفهمين: البيت الحرام، اليوم، وأمس، والأيّام التّالية، بيت عظيم! مملوء بالمؤمنين! وزحام شديد! فيأتي المتمتّعون مثلا، أو القارنين، هذه الأيّام وقد اقترب الوقت، فيعتمرون، فتجد وهم يسألون الله أن يعطيهم الحول والقوّة، وأن يسهّلها عليهم، وأن يجعلها كشربة الماء اليسيرة، ويدخلون في الزّحام، فلمّا تسألهم وهم خارجون مستبشرون: (كيف كانت؟)، يقولون: (سهلة، يسيرة! اللّهمّ كما سهّلتها اقبلها) فهم يعلمون أنّ الله هو الّذي سهّلها لهم، فيحمدون الله على نعمة العبادة، يقولون لك: (الحمد لله كانت سهلة!).

يقول ابن تيمية: (**كما قد بسط هذا في الكلام في الشكر.**) ربّ ارزقنا رسالة الشّكر - إن شاء الله - ونقرأها.

قال: (**وهو سبحانه جعل من شاء من عباده محمودًا،**) أيضا هذا الأمر شأن مهمّ، وهو أن يرفع بعض النّاس على بعض. (**ومحمَّدًا سيد المحمودين، ومحمد تكون صفاته المحمودة**

---

[٧] [إبراهيم ٤٠]

[٧] [البقرة ١٢٨]

[٨] [الفاتحة ٦]

[٨] صحيح مسلم ـ كِتَاب الصَّلَاةِ ـ حديث رقم ٦٠٣

أكثر، وأحمد يكون أحمد من غيره، فهذا أفضل وذاك أكثر، وهو سبحانه جعله محمَّدًا وأحمد،) يعني: جمع له هذان الاسمان صلّى الله عليه وسلّم، (محمّد)، ليس محمودا، لا؛ وإنّما (محمّدا)، يعني: صفاته المحمودة أكثر. و(أحمد)، صيغة التّفضيل، كان أحمد من غيره (فهذا أفضل وذاك أكثر،) يعني: (أحمد): أفضل، و(محمّد): أكثر.

(وهو سبحانه) قد جمع لرسولنا صلّى الله عليه وسلّم، هذان الصّفتان، (محمَّدًا وأحمد، فهو المحمود) سبحانه وتعالى، هو (المحمود على ذلك. وحمد أهل السماوات والأرض جزء من حمده؛ فإنَّ حمد المصنوع حمد صانعه، كما أنَّ كل ملك هو جزء من ملكه، فله الملك وله الحمد.) أيّ مُلك فهو ملكه، وأيّ جزء يُحمد من السّماوات والأرض فهو حمد للصّانع؛ فإذَا حمدت السّماء، حمدت الأرض، حمدت الزّرع، حمدت أهل السّماء، أهل الأرض، فأنت تعيدين الحمد لربّنا؛ لأنّه هو المحمود على ذلك.

(والحمد إنَّما يتم بالتوحيد، وهو مناط للتوحيد، ومقدمة له؛ ولهذا يفتتح به الكلام، ويثنَّى بالتشهد،) يُفتتح الكلام بالحمد، وبعد ذلك يأتي التّشهّد: (أشهد أن لا إله إلاّ الله) (وكل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم، وكل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء.) وقد فهمنا هذا الفصل فيه زيادة بيان لما ذُكر في الكلام عن (الحمد) والكلام عن (التّكبير).

قال: (وإذا كان الحمد كله له [...] بخلاف ما إذا أثبت جنس الحمد من غير استغراق؛ فإنَّ هذا لا يثبت خصائص الرب التي بها يمتاز عن غيره؛ فإنَّ الحمد إذا كان للجنس أوجب أن يكون لغيره أفراد من أفراد هذا الجنس كما تقوله القدرية.) عدنا مرّة أخرى: أنّه لا يمكن أن يكون ألف لام (الحمد)، وألف لام (المُلك) إلاّ للاستغراق.

(وأمَّا أهل السنة فيقولون: الحمد لله كله، وإنَّما للعبد حمد مقيد؛) كما هو واضح. (لكون الله تعالى أنعم به عليه، كما للعبد ملك مقيد، وأمَّا) المُلك (المستقل والحمد المستقل، والملك العام والحمد العام، فهو لله رب العالمين لا إله إلَّا هو،) فكلّ حمد يكون للنّاس، أو ثناء؛ يكون مقيّدا؛ في الأصل: (الحمد) يعود إلى الله، فمثلا: لو رأيت جمالًا حسّيًّا في امرأة مثلاً، كيف تحمدها عليه؟! أليس الله هو الّذي خلقها بهذه الهيأة؟! لكن الله عزّ وجلّ، رؤوف رحيم

بعباده، حتّى لمّا يُثني النّاس عليها بهذا، هو سبحانه وتعالى يرحم ضعفهم، ويرحم نفسهم الّتي هذه حدود فهمها، لكن العاقل يعرف أنّ كلّ هذا، كلّ مصنوع محمود فهو محمود فاعله.

قال: (**فهو لله رب العالمين لا إله إلّا هو، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير. وفي (السنن)**[٨٢] **عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:** ((مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ. وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا أَمْسَى، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ)).) نعم، لابدّ أن نعترف: أنّه ما ((بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ))، ليس لي في هذا إلاّ استقبال النّعمة؛ أمّا أن أظنّ أنّي أنا أتيت بالنّعمة لنفسي! فهذا أسوأ ما يُبتلا به النّاس من الظّنون؛ فإنّ العبد إن ظنّ أنّه فاعل العمل، أو هو صاحب النّعمة؛ فإنّ هذا يأتي وراءه ما يأتي من الكبر، والفسق!

(**وقال تعالى:** ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[٨٣] **وقال تعالى:** ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[٨٤]) وهذا في الحديث المشهور الّذي فيه أنّ الصّحابة كانوا في الحديبية، ونزل عليهم مطر، فنبّأهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأخبرهم أنّ الله عزّ وجلّ يقول: ((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا))[٨٥] يعني: بظهور هذا النّجم! وبظهور هذا النّجم! (**أي: تجعلون شكركم على نعمة الله أنكم تضيفونها إلى غيره**) أنّكم تكذبون بإضافتها إلى غيره! والنّاس عادة لمّا يأتون يخبرونك خبرا عن شفائهم، أو عن نجاح كذا؛ ينسبونه مثلا: إلى الطّبيب! إلى المعلّم! فإذا عاتبتهم، قالوا: (لا! نحن في قلوبنا نعرف أنّ الله هو الّذي أعطانا)! **نقول:** لا! ما يصلح! ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾! فتضيفون النّعمة إلى غير الله! هذا كذب على الله!

---

(٨٢) أخرجه أبو داود برقم: (٥٠٧٣) وصححه ابن حبان وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(٨٣) [النحل ٥٣_٥٤]

(٨٤) [الواقعة ٨٢]

(٨٥) موطأ مالك رواية يحيى الليثي _ كِتَابُ الاسْتِسْقَاءِ _ حديث رقم ٤٤٧

(وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾[٨٦]الآية.) أوّل ما يمسّهم الضّرّ يدعون ربّهم؛ لأنّهم يعلمون أنّه ليس هناك أحد ينفعهم، لكن المشكلة أنّهم بعد ما يُعطيهم النّعمة ماذا يفعلون؟! (وقال: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٨٧] وفي حديث آخر: ((مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: الحَمْدُ للهِ رِبِّي لَا أُشرِكُ بِهِ شَيْئًا، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، ظَلَّ تُغفِرُ لَهُ ذُنُوبُهُ حَتَّى يُمسِي، وَإِنَ قَالَهَا حِينَ يُمسِي ظَلَّ تُغْفِرُ لَهُ ذُنُوبُهُ حَتَّى يُصْبِحُ)). رواه أبان المحاربي[٨٨]عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٨٩]وقال سعيد بن جبير: "إذا قرأت ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٩٠] فقل: لا إله إلَّا الله،) لا إله إلاّ الله، (وقل على إثرها: الحمد لله رب العالمين"، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٩١] وقد روي نحو ذلك عن ابن عباس.) فمعنى ذلك: أنّ (لا إله إلاّ الله) الّتي تجعلك تدعو الله وحده مخلصا له، وتعرف أنّ المُلك مُلك الله؛ توجب عليك الحمد.

(وقد ثبت في (الصحيحين)[٩٢]أنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم كان يقول في دبر الصلاة: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)). وهذا قد ذكره في أوائل هذه السورة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾، إلى قوله: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[٩٣] يقصد بذلك: أنّ في سورة غافر، أتى الخبر عن أنّ الكفّار يوم القيامة يمقتون أنفسهم، فيُقال لهم: مقت الله لكم في الدّنيا كان أكبر من مقتكم لأنفسكم الآن. مقتهم متى؟ ﴿إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾[٩٤]؛ به! ويُعرض عليكم: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فما تقبلوا! فتحذيرا من حالهم، أتت الآيات تُخبر عن كماله سبحانه وتعالى، إلى أن وصلنا: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

---

(٨) [الروم ٣٣]

(٨) [غافر ٦٥]

(٨) أبان المحاربي: صحابي كان أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ. ينظر مجمع الزوائد للهيثمي (١٠/١٥٧).

(٨) رواه البزار كما في كشف الآثار (٤/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه أبان بن أبي عياش وهو متروك.(١٠/١٥٨).

(٩) [غافر ١٤]

(٩) [غافر ٦٥]

(٩) أخرجه مسلم برقم: (٥٩٤).

(٩) [غافر ١٠ـ١٤]

(٩) [غافر ١٠]

فهذا الحديث؛ أنّه كان يقول دبر الصّلاة: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ))؛ أنّه من هذه الآية، الّتي في **سورة غافر**.

(وفي (السنن) نوعان من الدعاء، يقال في كل منهما لمن دعا به أنَّه دعا الله باسمه الأعظم:)

هنا سينتقل إلى مناقشة مسألة دائما تُشكل على النّاس أنّه ما هو الاسم الأعظم لله؟

فقال أنّ هناك: (**نوعان من الدعاء، يقال في كل منهما لمن دعا به أنَّه دعا الله باسمه الأعظم:**)

الأوّل: (((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، أَنْتَ اللهُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ))[9]؛

والآخر: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ))[9]. سيناقشه من جهة **التّحميد**، ونرى كيف سيُفاضل بين النّصّين:

قال: (**والأول سؤال بأنه المحمود، والثاني سؤال بأنه الأحد، فذاك سؤال بكونه محمودًا،** ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ))، **يعني:** أنت المحمود، أنت المستحقّ للحمد. **والثّاني:** ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ)) (**وهذا سؤال بوحدانيته المقتضية توحيدًا، وهو في نفسه محمود يستحق الحمد، معبود يستحق العبادة.**) فكأنّ هذه جهتان لمسألة واحدة، فلمّا تنظر لعلاقتك بربّ العالمين، وما في عقيدتك له سبحانه؛ تجدي نفسك معتقد: أنّه المحمود الّذي يستحقّ الحمد، وأيضا معتقد: بأنّه المعبود الّذي يستحقّ العبادة لما له من كمال صفات، وأنّه المحمود سبحانه وتعالى، نعمائه، وفضله، وكماله، كلّه يُحمد عليه.

---

[9] أخرجه أبو داود برقم: (١٤٩٥) وصححه الألباني.

[9] أخرجه ابن ماجه برقم: (٣٨٥٧) وصححه الألباني.

يقول: (والنصف الأول من الفاتحة – الذي هو نصف الرب – أوله تحميد وآخره تعبيد-، وقد بسط مثل هذا في مواضع[٩]؛ وبُيّنَ أن التحميد والتوحيد مقرونان ولابد منهما في كل خطبة،) وأورد النّصوص الّتي مرّت معنا.

(و(الحمد) مقرون بـ(التسبيح)، و (لا إله إلّا الله) مقرون بـ (التكبير)، فذاك تحميده، وهذا توحيده. قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٩]؛ ففي أحدهما: إثبات المحامد له، وذلك يتضمن جميع صفات الكمال ومنع النقائص. وفي الآخر: إثبات وحدانيته في ذلك، و أنه ليس له كفؤ في ذلك.).

إذن كأنّه يُقال: هذان الدّعاءان كلاهما سؤال الله باسمه الأعظم؛ لأنّه في أحدهما إثبات للمحامد، وفي الثّاني إثبات للتّوحيد.

هذا ملخّص كلامه، لكن - إن شاء الله - في اللّقاء القادم، سنبدأ من نقطة الكلام حول الحديث الّذي فيه الاسم الأعظم لله.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[٩] انظر: مجموع الفتاوى (١٧/٥) ٥٠٣.

[٩] [غافر ٦٥]

اللقاء الرابع

بسم الله الرّحمن الرّحيم

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

نُكمل - إن شاء الله - في هذا اللّقاء، آخر ما سنقرأه في هذه الرّسالة، الّتي هي: رسالة "قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات" وفيها كلام لابن تيمية عن الكلمات الأربعة؛ وهذه الرّسالة نُقلت من مجموع الفتاوى، وهي تحتاج إلى طالب علم يجمعها، ويرتّبها، فتحصل الفائدة أكثر منها؛ وهذا عمل - إن شاء الله - ينشط له أحد طلبة العلم، فينفع النّاس به؛ خصوصًا أنّ هناك من الاستطرادات، ومن الكلام الّذي يكون أحيانا في سابق كلامه، أو من التّكرار؛ لأنّ هذه تكون في مواطن متعدّدة، ما يصعب على القارئ فهمه، لكن – الحمد الله - هي يسيرة ومفيدة جدّا، وتعلّمنا أشياء كثيرة منها في جمع (سبحان الله والحمد لله)، وكيف أنّنا نقول: (سبحان الله وبحمده)، وفهمنا كثيرا من معاني المحامد، وكيف أنّه محمود سبحانه وتعالى بكلّ لسان، وفي كلّ أوان، وكيف أنّه حميد بكلّ ما له من صفات الكمال، وما له من جميل الإنعام، وأيضا عرفنا أنّ: (الله أكبر)، و (لا إله إلاّ الله)، مقترنان، لِما فيهما من التّلازم؛ فإنّ التّكبير فيه: تعظيم الله، والتّهليل مبني على ذلك؛ فإذَا عرفت أنّ الله أكبر؛ فمن المؤكّد أنّك ستؤلّهه وحده لا شريك له. فبقي معنا كلامه الّذي ذكر فيه الدّعاء بالاسم الأعظم:

قال: **(وفي (السنن) نوعان من الدعاء، يقال في كل منهما لمن دعا به أنَّه دعا الله باسمه الأعظم:)** وذكر الحديثين، الحديث الّذي في أبي داود، وصحّح الألباني، والّذي في ابن ماجه، وأيضا صحّحه الألباني، رحمهم الله جميعا.

الأوّل: **((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ))**[٩]

---

[٩] أخرجه أبو داود برقم: (١٤٩٥) وصححه الألباني.

والثّاني: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ))[1].

فبيّن أنّ: **(الأول سؤال بأنه المحمود، والثاني سؤال بأنه الأحد،)** فالأوّل: سؤال بما يعلمه العبد من منّة الله، والثّاني: سؤال بما يعلمه العبد من استحقاق الله للتّوحيد؛ فالله يستحقّ الحمد ويستحقّ العبادة. إذن: هذه المعلومة الأولى.

أضاف إليها، قال: **(والنصف الأول من الفاتحة – الذي هو نصف الرب – أوله تحميد وآخره تعبيد-)** جميل، إذن: الحديثان الّذي فيهما الاسم الأعظم: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ))، والثّاني: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ))؛ كأنّ الأوّل يكون أوّل الفاتحة، والثّاني آخر النّصف الأوّل من الفاتحة، الّذي هو نصف الرّبّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢) ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣) مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾[1]؛ ((قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي))[2]؛ (أوله تحميد)، وثناء على الله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، (وآخره): ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، الّذي هو التّعبيد، فأشبه الحديثين: ((أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ))، و((أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ))، الّذي تستحقّ العبادة.

(وقد بسط مثل هذا في مواضع[3]؛ وبُيِّنَ أن التحميد والتوحيد مقرونان) وقد عرفنا هذا: أنّ التّحميد لله عزّ وجلّ، والتّوحيد مقرونان. **(و(الحمد) مقرون بـ(التسبيح)، و(لا إله إلّا الله) مقرون بـ(التكبير)،)** فإذن أصبح عندنا: ثلاثة أنواع من الاقتران:

١) نوع الاقتران الأوّل: (سبحان الله وبحمده)، هذا اقتران.

٢) نوع الاقتران الثّاني: (الله أكبر)، و (لا إله إلاّ الله)، هذا اقتران.

٣) نوع الاقتران الثّالث: ثمّ هناك اقتران بين: (الحمد لله) وبين: (لا إله إلاّ الله).

قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]؛ وهذه الآية كما مرّ معنا، بيّنت أنّ هذا هو المطلوب منّا:

---

[1] أخرجه ابن ماجه برقم: (٣٨٥٧) وصححه الألباني.

[1] [الفاتحة ٢_٥]

[2] صحيح مسلم _ كِتَاب الصَّلَاةِ _ حديث رقم ٦٠٣

[3] انظر: مجموع الفتاوى (١٧/٥) ٥٠٣.

- أن ندعوه مخلصين.
- وأن نحمد ربّ العالمين.

يقول: **(ففي أحدهما: إثبات المحامد له، وذلك يتضمن جميع صفات الكمال ومنع النقائص.)** في أحدهما: الآن عاد إلى ماذا؟ إلى الحديثين، (إثبات المحامد له) سبحانه؛ فإذَا أثبتنا المحامد لله، إثباتنا، يعني: لمّا نقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في الفاتحة، ماذا يعني هذا؟ يعني: أنّنا نعتقد أنّه كامل الصّفات، وأنّ صفاته سبحانه وتعالى لا نقص فيها أبدًا؛ فإذن: يقول: **(إثبات المحامد له، وذلك يتضمن جميع صفات الكمال ومنع النقائص.)** إذن: **((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ))** يعني بأنّي أعتقد:

١. بأنّك كامل الصّفات.
٢. وأنّ لك جميل الإنعام.
٣. وأنّه لا أحد يُشاركك في هذه الصّفة.
٤. وأنّك وحدك المنزّه عن النّقائص.

(وفي الآخر:) **((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ))**: **(إثبات وحدانيته في ذلك، و أنه ليس له كفؤ في ذلك.)** يعني: أنّك وحدك المستحقّ للعبادة.

يقول: **(وقد بينا في غير هذا الموضع أن هذين الأصلين يجمعان جميع أنواع التنزيه؛ فإثبات المحامد المتضمنة لصفات الكمال تستلزم نفي النقص.)** فمادام أثبتّ لله الكمال - الحمد لله - إذن: أنت بنفس الوقت تنفين عنه النّقص. وإثبات وحدانيّة الله فيها **(أنَّه ليس له كفؤ في ذلك)** يعني: متضمّن، يعني: لو قلت أنّ الله أحد، صمد، ستقولين: (معناها: لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد)، فمعناها: لا مثيل له **(في شيء من صفات الكمال،)** فالله **(منزه عن النَّقائِص،)** وأيضا **(منزه أن يماثله شيء في صفات الكمال).**

إذن: كلّ التّنزيه حصل. هناك نوعان من التّنزيه:

---

(١) [غافر ٦٥]

١) أوّلا: أن يعتقد الإنسان من وسواس الشّيطان - والعياذ بالله - أنّ هناك شيء من صفات الله فيها نقص: فإذن: نفيناها لمّا بيّنّا أنّ (الحمد لله)، يعني: ألف لام (الحمد) للاستغراق، جميع أنواع المحامد لله. (لله)، يعني: ما يستحقّها إلاّ الله، تدلّ على: الاختصاص.

٢) ثانيا: ما يُشاركه أحد في جميع أنواع المحامد: إذَا أثبتّ جميع أنواع المحامد لله؛ إذن: أنت بالتّالي تُثبتين، أو دعينا نقول: ننفي أيّ نقص؛ لأنّ إثبات الكمال يستلزم نفي النّقص - الحمد لله - الله صفاته كاملة، ربّما ظنّ ظانّ أنّ الله صفاته كاملة، وغيره أيضا صفاته كاملة، لا مانع، إذَا أثبتنا كمال الصّفات لله، فلا يمنع أن يكون كمال الصّفات أيضا لغيره. نقول: لكن صفات الكمال اختصّ بها سبحانه وتعالى. نعم، هذا بالالتزام سيظهر بوضوح، لكن أظهر منه: إثبات الوحدانيّة في هذا الكمال، وأنّ ليس له كفؤ، ليس له مثيل في شيء من صفات الكمال، فهو: منزّه عن النّقائص، ومن هذه النّقائص الّتي يُنزّه عنها أن يكون له مثيل في صفات الكمال.

وأورد سورة الإخلاص، ثمّ أتانا بفائدة عظيمة جدّا، وهي: تعليقا على اسم (الله)، قال: **(واسمه (الله) تضمن جميع المحامد؛ فإنَّه يتضمن الإلهية المستلزمة لذلك.)** لمّا نأتي، كما بيّن لنا حبر هذه الأمّة معنى اسم (الله) - وهذه الحقيقة - كلام ابن عبّاس، في بيان معنى اسم (الله)، ممّا يدلّ على فقهه، وعلمه، يعني: شديد العمق في فهمه؛ لأنّه لمّا أتى يُبيّن معنى اسم (الله)، قال: ((ذو الألوهية والمَعْبودية على خلقه أجمعين))[1]؛ يعني: المستحقّ أن يكون الإله. لماذا؟ لما له من كمال الصّفات؛ فإذَا كان هو الإله فهو الّذي يُستحقّ أن يُعبد. لمّا تقولين هو الإله، يعني: كامل الصّفات؛ إذن: سيتضمّن جميع المحامد.

(فإذا قيل: (لا إله إلَّا الله) تضمنت هذه الكلمة إثبات جميع المحامد،) اسم (الله)، قال: المحامد كلّها لله، لمّا أتينا بالنّفي؛ نفينا أن يكون له نظير؛ إذن: (هو إله)؟ نعم، كامل الصّفات، (لا إله إلَّا هو).

---

[1] جامع البيان ــ ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ) ــ تفسير البسملة، سورة الفاتحة.

دعونا نرجع نفكّر في الحديثين: الحديثان جمعا هذا المعنى: لك جميع المحامد، ولا أحد يشاركك في هذه المحامد، فأصبح الحديثان كأنّهما معنى لا إله إلاّ الله: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، أَنْتَ اللهُ))، ((أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ))؛ إذن: لا إله إلاّ الله؛ فبهذا تتبيّن هذه المناقشة.

انتقل الآن إلى الكلام عن الشّرك، قال: **(والشرك كله إثبات نظير لله عزّ وجلّ؛)** ما معنى أن نُشرك بالله؟ - نعوذ بالله من الشّرك! - معناه: أنّ الإنسان يظنّ ظنّ السّوء من وسواس الشّيطان أنّ هناك نظير لله؛ ولذا سيفسّر لنا الآن: لماذا يأتي في القرآن أنّ الله ينزّه نفسه؟ (يسبّح نفسه ويعاليها عن الشرك في مثل قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].) الله مُنَزَّهٌ عن أن يكون له نظير؛ ثمّ هذا النّظير يُنازعه في ملكه! - نعوذ بالله من مثل هذه الخواطر! - **(وقال تعالى:** ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]. **فإنَّ الشرك قولٌ هو وصف، وعملٌ هو قصد، فنزَّه نفسه عمَّا يصفون بالقول والاعتقاد،)** يعني: لمّا قال الله عزّ وجلّ في الآية السّابقة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ فأيّ قول يكون وصفًا لله، ووصف للمعبودات من دون الله، والشّرك أيضا عمل، (فنزَّه نفسه عمَّا يصفون بالقول والاعتقاد، وعن أن يعبد معه غيره.

وأعظم آية في القرآن: آية الكرسي، أولها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾[3]؛ فقوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ هو اسمه المتضمن لجميع المحامد وصفات الكمال. وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ نفي للنظراء والأمثال.) إذن: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ جمعت هذان الكلمتان بين:

- إثبات المحامد وصفات الكمال.
- ونفي النّظائر والأمثال.

فلا نظير له، ولا مثل له سبحانه وتعالى.

---

[1] [المؤمنون ٩١_٩٢]

[2] [الأنبياء ٢١_٢٢]

[3] [البقرة ٢٥٥]

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

يقول: **(وكذلك أول الكلمات العشر التي في التوراة: "يا إسرائيل، أنا الله لا إله إلَّا أنا")** وهذا يشبه ما في سورة طه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1]؛ **(جمع بين الإثبات ونفي الشريك، فالإثبات لرد التعطيل،)** يعني بمعنى: أنّ له صفات، لا تظنّ أنّه لا يُماثله أحد يعني ليس له صفات! **(فالإثبات لرد التعطيل، والتوحيد لنفي الشرك.)** إذن: لمّا تسمعي في سورة طه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ فتفهمين أنّ: (الله) تُثبتين فيها جميع المحامد؛ تردّين التّعطيل، معناها: الله موصوف بصفات. التّوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾؛ لأجل أن ننفي الشّرك، لكن ما الّذي أتى بالتّعطيل؛ لأنّ النّاس لو غالوا في نفي أن يكون الله له مثيل، لو وصلوا في المغالاة الحدّ المتجاوز، يعني: أقصد: لو غالوا في النّفي، يعني: تجاوزوا الحدّ في نفي الشّرك؛ قد يصلون إلى نفي أن يكون الله له صفات! وهذا الّذي حصل أنّهم لمّا أرادوا أن ينفوا أنّ الله له مثيل في الصّفات، اقلب غلوّهم عليهم فنفوا صفات الله!

(وهكذا (التحميد) و(التوحيد): فـ(التحميد) يتضمن: إثبات ما يستحقه من المحامد المتضمنة لصفات الكمال، وهو رد للتعطيل.) وهذا واضح. (و(التوحيد): رد لشرك. و(التحميد) يتضمن إثبات أسمائه الحسنى،) لمّا تقولين: (الحمد لله)، كأنّك تقولين:

- الله يُحمد على ما له من كمال صفات.
- وأنّه يُحمد بوصفه بكمال الصّفات.

(وكلها محامد له، وهو يتضمن ذكر آياته وآلائه، فإنه محمود على آلائه كلها، و آياته كلها من آلائه، كما قد بسط في مواضع.) محمود على آلائه ونعمه، ونفس الآلاء هذه، النّعم نفسها آيات. **(فهو محمود على كل ما خلق، له الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما)** الحمد لله، الحمد لله، **(وملء ما شاء من شيء بعد ذلك، فله الحمد حمدًا يملأ جميع ما خلقه، ويملأ ما شاء خلقه بعد ذلك، إذ كان كل مخلوق هو محمود عليه، بل هو مسبح**

---

[1] [طه ١٤]

بحمده، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[1] و(التوحيد) يقتضي نفي كل ند ومثل ونظير، وهو كمال التحميد وتحقيقه،) يعني: إذَا أردت أن تكون حامدا كما ينبغي؛ عليك بالتّوحيد. (ذاك إثباته بغاية الكمال ونفي النقص، وهذا نفي أن يكون له مثل أو ند.) يعني: يُعيد نفس المسألة الّتي هي الفرق بين التّوحيد والتّحميد، وكيف أنّ كلاهما لهما صلة ببعضهما البعض: فالتّوحيد كمال التّحميد.

(وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[2] قد فسرها كثير من المفسرين، أي: فصلِّ بحمد ربك والثناء عليه، لم يذكر ابن الجوزي غير هذا القول، قال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أي: "صلِّ له بالحمد له والثناء عليه"[3] هذا معنى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، يعني: صلّ. (وتفسير (التسبيح) بالصلاة فيها أحاديث صحيحة وآثار كثيرة، مثل حديث جرير المتقدم[4] هذا الحديث جاءنا في الصّفحة الرّابعة.

(وأمَّا قوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، فقد فسروه –كما تقدم– أي: بحمد ربك، وشكر ربك، وطاعة ربك، وعبادة ربك. أي: بذكرك ربك، وشكرك ربك، وطاعتك ربك، وعبادتك ربك.) سبّح ربّك بالحمد والشّكر والطّاعة. (ولا ريب أنَّ حمد الرب والثناء عليه ركن في الصلاة؛) الآن سيبيّن لماذا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؟ هي: تُفسَّر بالصّلاة، حتّى أنّ ابن الجوزي، فسّرها هذا التّفسير فقط. فبدأ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، فقال: ما معنى ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؟ يعني: بذكرك ربّك، وشكرك ربّك. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يعني: بشكر الرّبّ، بطاعة الرّبّ، بعبادة الرّبّ.

سيبيّن الآن كيف أنّ هذه الجملة تدخل في الصّلاة؟ قال: (ولا ريب أنَّ حمد الرب والثناء عليه ركن في الصلاة؛ فإنَّها لا تتم إلَّا بالفاتحة التي نصفها الأول حمد لله، وثناء عليه، وتحميد له، وقد شرع قبل ذلك الاستفتاح، وشرع الحمد عند الرفع من الركوع، وهو متضمن لحمد الله تعالى.) فإذن: صلاتك تُعتبر تسبيحًا بحمد الله، (وذكر طائفة من المفسرين -كالثعلبي وغيره- قولين:

---

[1] [الإسراء ٤٤]

[2] [طه ١٣٠]

[3] زاد المسير (٥/٣٣٣).

[4] ص ٤.

قالوا -واللفظ للبغوي-: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أي: صلِّ بأمر ربك. وقيل: صلِّ له بالحمد له والثناء عليه. فهذا القول الأول الذي ذكره البغوي هو مأثور عن أبي مالك أحد التابعين الذين أخذ عنهم السُّدِّي التفسير من أصحاب ابن عباس. وروى ابن أبي حاتم، عن أسباط، عن السُّدِّي، عن أبي مالك، قوله: ﴿بِحَمْدِ﴾، يعني: بأمر. وتوجيه هذا: أن قوله: (بحمده)، أي: بكونه محمودًا، كما قد قيل في قول القائل: (سبحان الله وبحمده)، قيل: سبحان الله ومع حمده أسبحه، أو أسبحه بحمدي له.) يعني: سبحان الله، ومع حمده، أسبّحه؛ يعني: أحمده وأسبّحه؛ أسبّحه، يعني: أنزّه عنه النّقائص بحمدي له.

(وقيل: (سبحان الله وبحمده)، سَبَّحْنَاه، أي: هو المحمود على ذلك، كما تقول: فعلت هذا بحمد الله، وصلينا بحمد الله،) فهو المحمود على تسبيحه. **(أي: بفضله وإحسانه الَّذي يستحق الحمد عليه، وهو يرجع إلى الأول، كأنَّه قال: بحمدنا لله؛ فإنَّه المستحق لأنَّ نحمده على ذلك، وإذا كان ذلك بكونه المحمود على ذلك، فهو المحمود على ذلك؛ حيث كان هو الَّذي أمر بذلك وشرعه، فإذا سبحنا سبحنا بحمده،)** يعني: يصبح الإنسان في مثل هذه الحالة تحت منّة الله، وهذا يرجع بنا للمعنى الأوّل الّذي فيه عرفنا أنّ المؤمن يؤمن أنّ توفيقه للطّاعات؛ إنّما هو بحمد الله؛ فلذا أورد الآية: (﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[1] **الآية.**

وقد يكون القائل الذي قال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، أي: بأمره، أراد المأموربه، أي: سبحه بما أمرك أن تسبحه به، فيكون المعنى: سبح التسبيح الذي أمرك ربك به، كالصلاة التي أمرك بها.) يعني بمعنى: سبّح كما أمرك. فهذا - الحمد لله - واضح في كون أنّ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: (الحمد)، يعني: الأمر. **(وقولنا: (صليت بأمر الله)، و(سبحت بأمر الله).)** هي نفسها: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

إذن فهمنا من هذا: أنّ (سبحان الله، وبحمده)، لها معانٍ متعدّدة، مفهومة - والحمد لله – والمعنى الأخير واضح: **((صليت بأمر الله)، و(سبحت بأمر الله)، يتناول هذا وهذا،)** يعني:

---

[1] [آل عمران ١٦٤]

(يتناول أنه أمر بذلك ففعلته بأمره لم أبتدعه، و أني فعلت بما أمرني به لم أبتدع.) إذن: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾، مثل: (صلّيت بأمر الله)، ومثل: (صمت بأمر الله)، فأنا (سبّحت بأمر الله).

(فأما هذه الآية: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا﴾[1] فلم يذكر البغوي و ابن الجوزي إلَّا أنَّه الصلاة كما ذكرنا،) مرّ معنا سابقا: أنّه قارن بين حديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ))[2] وبين الآية الّتي في سورة طه[3] وخرج بنتيجة: أنّها مقصود بها: الصّلاة، فأصبحت الصّلاة تسبيحًا بحمد لله. (أي: "صلِّ بالثناء على ربك والتنزيه عما يقول المبطلون") فهذا من الصّلاة: تنزيه الله، وتحميده في الصّلاة. (فذكر الثناء والتنزيه عما يقول المبطلون تفسيرًا للحمد.)

(فأمَّا البغوي فإنَّه قال: "فصلِّ حمدًا لله"، وهو ينقل ما يذكره الثعلبي في (تفسيره) في مثل هذه المواضع، والثعلبي يذكر ما قاله غيره، سواء قاله ذاكرًا أو آثرًا، ما يكاد هو ينشئ من عنده عبارة.) هنا ابن تيمية، رحمه الله، يعلّق على طريقة البغوي، وطريقة الثّعلبي.

الآن يريد أن يُبيّن لنا معنى هذا الأمر في عقيدتنا، سأترك كلامه عن البغوي، وعن الثّعلبي، وأنتقل إلى: (وهذه عبارة طائفة، قالوا: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾: صلِّ حمدًا لله. جعل نفس الصلاة حمدًا،) يعني: كما نقول: أنّ العبادات كلّها شكرا لله. (جعل نفس الصلاة حمدًا، كما يقال: أفعل هذا حمدًا لله، أي: شكرًا. وهذا بني على قول من قال: ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾، أي: بكونه محمودًا، ثم جعل المصدر يضاف إلى المفعول، وليس المراد أن الحمد غير التسبيح، بل نفس تسبيح الله هو حمد الله.).

أنا رجوت أنّي أقدر أنتهي لكن هو دخل في كثير من التّفاصيل في هذه المسألة، وذكر عدّة أقوال في معنى التّسبيح، وفيها الحقيقة فوائد عظيمة، فلا بأس، نتصبّر قليلا حتّى نُنهي كلامه.

---

[1] [طه ١٣٠]

[2] أخرجه البخاري برقم: (٥٥٤)، ومسلم برقم: (٦٣٣).

[3] الآية (١٣٠) سورة طه.

الآن سيعرض علينا مختصر الكلام السّابق: **(ولفظ (التسبيح): ١- يراد به: جنس الصلاة.)** يعني بمعنى: أنّه لمّا ننظر إلى الآية: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾؛ نجد أنّ (التّسبيح)، يُراد به: جنس الصّلاة.

(٢- وقد يراد به: النافلة خصوصًا؛ فإنَّ الفرض لما كان له اسم يخصه) يعني: هذه صلاة الظّهر، هذه صلاة العصر، **(جعل هذا اللفظ للنافلة، كما في الحديث: ((كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسبح على راحلته حيث توجهت به))** [١٨]**)** وهذا كثير في كلام السّلف، وكلام الصّحابة الكرام، أنّ التّسبيح، يعني: صلاة الضّحى، وغيرها من النّوافل المطلقة.

إذن: يُراد بكلمة: (التّسبيح) ممّا سبق؛ عرفنا أنّه يُراد: جنس الصّلاة، ثمّ أضاف ابن تيمية، من فقهه أنّ السّلف أطلقوا على الصّلاة - النّافلة خصوصًا -: معنى التّسبيح، كما أورد الأدلّة: **(و((كان يصلي سُبحة الضحى))**[١٩]. **ومنه ما رواه مسلم في (صحيحه)**[٢٠]**عن حفصة قالت: "ما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلى في سُبحته، قاعدًا حتى كان قبل وفاته بعام")** صلّى الله عليه وسلّم، **(وفي رواية: -أو اثنتين- فكان يصلي في سبحته قاعدًا،)** تقصد: النّوافل. **(وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها).**

(ومنه أيضًا ما أخرجاه في (الصحيحين)[٢١]**عن عائشة قالت: "ما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلي سبحة الضحى قط وإني لأسبحها")** يعني: عائشة ما رأت، وهذا طبعا سبب خلاف كبير في مسألة صلاة الضّحى، والجمع بينهم واضح؛ أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يفعله ويتركه.

(وإنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به؛ خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم. لكن هذا يوجد في كلام الصحابة تسمية التطوع سبحة خصوه بذلك، وأما في كلام النبي صلّى الله عليه وسلّم فيحتاج إلى نقل عنه.).

على كلّ حال؛ النّافلة، سمّوها تسبيح.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٠٩٨)، ومسلم برقم: (٧٠٠).

(١) رواه مسلم برقم: (٣٣٦).

(١) برقم: (٧٣٣).

(١) أخرجه البخاري برقم: (١١٢٨)، ومسلم برقم: (٧١٨).

(٣- ويراد بـ(التسبيح): جنس ذكر الله، يقال: (فلان يسبح) إذا كان يذكر الله، ويدخل في ذلك التهليل والتحميد، ومنه سميت السَّباحة للأصبع التي يشير بها، وإن كان يشير بها في التوحيد.) لكن على أساس أنّها سُمّيت السّبّاحة، لكن لماذا لم تُسمّى الموحّدة؟ لأنّه كلّ ذكر الله؛ يدخل في التّسبيح. هذا مقصد؛ هي يُشار بها في التّوحيد لكن سُمّيت السّبّاحة. الله يفهّمنا ويعلّمنا.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

(٤- ويراد بـ(التسبيح): قول العبد: (سبحان الله)،) وهذا الّذي نعرفه خاصّة. (وهذا أخص به، وفي (السنن)[١] لما أنزل الله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾[٢] قال: ((اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ))، ولما نزل: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[٣] قال: ((اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ)).) وأورد الحديث: ((كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ))[٤] وأيضا حديث: ((مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَئَةَ مَرَّةٍ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ))[٥] فإذن عرفت بذلك: أنّ التّسبيح يُطلق على كلمة: (سبحان الله).

عرفنا أنّها تُطلق على أربعة أمور.

(وقد قيل: إنَّ الصلاة إنما سميت تسبيحًا لاشتمالها على التسبيح،) إذن: يُعلّل القول الأوّل، وأيضا القول الثّاني، (كما سميت قيامًا وقرآنًا لاشتمالها على القيام والقراءة، وتسمى ركعة وسجدة لاشتمالها على الركعة والسجدة.) فإذن معنى ذلك: أنّ هذه اسم من أسماء الصّلاة؛ لأنّها تشتمل عليه.

الآن سيفسّر أيضا معنى الفرق بين: (سبحان ربّي العظيم)، (سبحان ربّي الأعلى): (لكن فرق بين قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ و ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾، فهذه قد فسرت بالتسبيح المجرد: قول العبد في

---

[١] أخرجه أبو داود برقم: (٨٦٩)، وابن ماجه برقم: (٨٨٧) وضعفه الألباني ومعناه صحيح جاءت به أحاديث صحيحة.

[٢] [الواقعة ٧٤]

[٣] [الأعلى ١]

[٤] أخرجه البخاري برقم: (٧٥٦٣).

[٥] أخرجه البخاري برقم: (٦٤٠٥)، ومسلم برقم: (٢٦٩١).

ركوعه وسجوده: (سبحان رب العظيم)، (سبحان رب الأعلى)، وبين قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾،) إذن: المقارنة ستكون بين التّسبيح الّذي سيكون في الصّلاة في الرّكوع، والسّجود، وبين قولنا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾. **(فإنَّ هذا إذا قيل: إنَّ المراد (بحمدك ربك) أمر بالتسبيح وبالحمد، كقوله: (سبحان الله وبحمده). والمصلي إذا حمد ربه في القيام أو في القيام والقعود وسبح في الركوع والسجود، فقد جمع التسبيح والحمد فسبح بحمد ربه، فالصلاة تسبيح بحمد ربه، كما بين النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم ذلك.)** إذن: إذَا في الرّكوع، قال: (سبحان ربّي العظيم)، وفي السّجود قال: (سبحان ربّي الأعلى)؛ هكذا سبّح، لكن الله قال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾، والعلماء فسّروها بأنّها: الصّلاة. كيف تُفسّر بأنّها الصّلاة؟ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ من أجل أنّه يقول: (سبحان ربّي العظيم)، و(سبحان ربّي الأعلى)؟ لا، أضاف إضافة الآن قال: إذَا (سبحان ربّي العظيم)، و(سبحان ربّي الأعلى)؛ هذا معناه حصل التّسبيح، لكن كيف نسبّح بحمد ربّك؟ يعني: أمر بالتّسبيح، والحمد؛ فيُقال: **(المصلي إذا حمد ربه في القيام أو في القيام والقعود وسبح في الركوع والسجود، فقد جمع التسبيح والحمد فسبح بحمد ربه، فالصلاة تسبيح بحمد ربه)** يعني: جمع بين التّسبيح، والتّحميد؛ **(فالصّلاة تسبيح بحمد ربّه كما بين النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم ذلك.)**

(وقد فسر طائفة من السلف[١٢٧] قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[١٢٨] بالتسبيح بالكلام، وذكروا أنواعًا: التسبيح عند افتتاح الصلاة،) يعني: في دعاء الاستفتاح. **(والتسبيح عند القيام من المجلس،)** حين تقوم؛ لمّا تقوم للصّلاة هذا تسبيح بحمد لله، لمّا تقوم من المجلس؛ يكون تسبيحًا أيضا بحمد الله، فأصبحت: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ كلمة واسعة. وأورد الرّواية: **(فروى ابن أبي حاتم عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، قال: "إذا أراد أن يقوم الرجل من مجلسه قال: سبحانك اللهم وبحمدك". هكذا رواه وكيع.) يعني معنى ذلك: متى تقوم؟ إذَا قمت للصّلاة سبّح في دعاء الاستفتاح، وإذَا قمت من مجلسك سبّح: (سبحانك اللّهمّ وبحمدك)؛ فصارت ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ واسعة، ("من كل مجلس".)** كما قال مجاهد.

---

[١٢٧] ينظر تفسير الطبري (٢٧/ ٢٢-٢٣).

[١٢٨] [الطور ٤٨]

(عن طلحة عن عطاء ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: من كلِّ مجلس، إن كنت أحسنت ازددت خيرًا،) يعني: لمّا تُسبّح، (وإن كان غير ذلك كان هذا كفارة له) فيعني معنى ذلك: أنّ قولنا حال قيامنا من مجالسنا: (سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك)؛ إنّما هو امتثال لقوله تعالى: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾، بمعنى: أنّ الله أمرنا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، فيكون هذا الدّعاء من التّسبيح.

(وقال طائفة: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: "إلى الصلاة". وكذلك قال الضحاك: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: "إلى الصلاة المفروضة". وكذلك قال ابن زيد: "إذا قام إلى الصلاة من ليل أو نهار".) أين؟ في دعاء الاستفتاح كما هو متبيّن: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ))[1]. وقال أبو الجوزاء: " ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: "من منامك، من فراشك". وعلى هذا فهو أمر بالصلاة إذا قام من فراشه من قائلة النهار، فهو أمر بصلاة الظهر والعصر.) متى تقوم؟ متى ما قمت.

أنا عندي طرفان قد ذُكرا في الآية، بقي أمران، يعني: الآية فيها: الأمر بتسبيح الله عزّ وجلّ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، وقد عرفنا هذه.

هناك تسبيح ﴿حِينَ تَقُومُ﴾، فكيف قال أنّه حين تقوم من القائلة؟ كيف فهم هذا؟ هناك عرفنا أنّها صلاة الفجر، وصلاة العصر. وهنا أمر بتسبيح الله ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، فقال: حين تقوم من القائلة. لماذا؟ لأنّه قال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[2]، ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: فهمنا أنّه هذا اللّيل، وهذا الفجر، يعني: المغرب، والعشاء، والفجر، فبقي علينا ماذا؟ بقي علينا الظّهر، والعصر.

(﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: فسرها طائفة بركعتي الفجر.)

وقيل: (قال ابن عباس:) سبّح حين تقوم، يعني: ترك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾، وقال: وسبّح، متى؟ حين تدبر النّجوم؟ يعني هذا معناها: أدبار الصّلوات، ("هو التسبيح أدبار الصلاة". قلت: لعل هذا

---

(١) أخرجه

(١) [الطور ٤٩]

تفسير لقوله: ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[1]؛ فإنه أنسب.) لكن هنا في آية الطّور فيها: ﴿ٱلنُّجُومِ﴾ وليس السّجود، فلذَا كان أنسب المعنى الثّاني.

(وقد روي عن طائفة من السلف أن أدبار السجود: الركعتان بعد المغرب، وإدبار النجوم: ركعتا الفجر، فإحداهما تشتبه بالأخرى.) بعد المغرب سنّة المغرب، وقبل الفجر.

وعدنا هكذا، أنّ التّسبيح هو الصّلاة. **(والسلف الَّذين فسروها بهذا كأنَّهم -والله أعلم- أرادوا أن أول ما يكتب في صحيفة النهار ركعتا الفجر، وآخر ما يرفع ركعتا المغرب، فقد روي: أنَّهما ترفعان مع عمل النهار.)** فلذَا حصروا الرّكعتين من هنا ومن هنا، يعني: ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: الرّكعتان اللّتان بعد المغرب، ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: ركعتي الفجر. **(قلت: ولفظ التسبيح يتناول هذا كله؛)** يعني: يتناول: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾، وفي الصّلاة، وكلّ ما عدّد سابقًا، **(منه واجب، ومنه مستحب.)**

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

قال: **(آخره، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.)**.

لازلت أسأل الله عزّ وجلّ أن يسخّر لهذه الرّسالة وغيرها من الرّسائل، من يعتني بها، ويختصرها، ويهذّبها، لتحصل الفائدة، وما يحصل التّشتّت عند القرّاء، ونستطيع أن ننشرها؛ لأنّها يسيرة سهلة، لكن الانتقالات بسبب كونه بحرًا؛ الانتقالات قد تُشتّت القارئ. فربّي ييسّر لهذا العلم أن ينتشر، اللّهمّ آمين، ويجعلنا سببا لذلك.

جزاكم الله خيرا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[1] [ق ٤٠]